South Valley University
Faculty of Arts
جامعة جنوب الوادي
كلية الآداب بقنا

مبادئ علم الاجتماع

الفرقة الأولى

الفصل الدراسي الأول

تأليف

ا.د/ السيد عوض علي عيسى

٢٠١٦

دار محسن للطباعة

الفصل الأول

علم الاجتماع

ماهيته وموضوعاته

١ – ما هو علم الاجتماع

لقد حاول كثير من علماء الاجتماع تحديد مفهوم ثابت يمكن من خلاله تعريف هذا العلم ٠ ويمكن القول أن تعريفاتهم لعلم الاجتماع تدور فى إطار ثلاثة محاور رئيسية وهى كما يلى :

المحور الأول :

وهى تلك التعريفات أو المفاهيم التى تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع ٠ Sociology is the science of society study

ومن أشهر العلماء الذين عرفوا علم الاجتماع بأنه علم دراسة المجتمع جورج لندبرج ، ورينية مونيية وايلى سنوى ولستروارد ٠

ويمكن تعريف المجتمع بأنه مجموعة من الأفراد تربطهم ببعضهم عادات وتقاليد ودين ولغة وارض ، بل وتاريخ مشترك وأهداف واحدة تنظم علاقاتهم مع بعضهم البعض ٠

المحور الثانى :

ويتعلق بالمفاهيم التى تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية Sociology is the science of social phenomenon study

ومـن أشـهر علمـاء الاجتمـاع الـذين اهتمـوا بتحديـد مفهـوم علـم الاجتمـاع علـى اعتبـار أنـه علـم دراسـة الظـواهر الاجتماعيـة ، أميل دور كايم وموريس جينزبرج ٠

والظـاهرة الاجتماعيـة كمـا حددها دور كـايم بأنهـا " كل ضـرب من السلوك ، ثابت أو غير ثابت ، ويمكن أن يباشر نوعا من القهر الخـارجى علـى الأفـراد " أو هـى " سـلوك يعـم المجتمـع بأسـره ، وكـان ذو وجـود اجتماعى مستقل عن الصور التى تتشكل بها فى الحالات الفردية ٠

ومن تعريف دور كايم السابق للظاهرة الاجتماعية يمكن القول أن للظاهرة الاجتماعية ثلاث مكونات أساسيه هى كما يلى :
١ – تعد الظواهر الاجتماعية بمثابة نظم اجتماعية قائمة ، وهذا يعنى أن الظـواهر الاجتماعيـة تعد بمثابـة سلوكيات جماعيـة يتم التعبير عنها فـى صورة تنظيمات وممارسات لها صفة القهر والإجبار ٠

٢ – أن الظـواهر الاجتماعيـة تتكون مـن الرمـوز الجماعيـة والقيم والمثل والأفكار ٠ فالظواهر الاجتماعية تعد بمثابة أنساق من القيم ٠

٣ – أن الظـواهر الاجتماعيـة تتكون مـن حـالات الضـمير الجمعـى وهـى الآمـال والتخيلات أو الصـور الجماعيـة ، التـى ترد علـى الضـمير الغيرى الإيثارى ، والتـي تمثل القاعدة التـى يرتكز عليها أي مظهـر مـن مظـاهر الحياة الاجتماعية ٠ فالظواهر الاجتماعية توجد خارج الفرد ٠ وتأتى إلـى

عقلـة كشـيء خـارجى فـى صـورة قواعـد دينيـة أو قانونيـة أو أخلاقيـة أو منطقية ٠ وطالما أنها تكون مصحوبة عادة بقوة قهرية إجبارية فإن ذلك يساعدها على أن تعرض نفسها على الفرد بصرف النظر عن رغباته الفردية ٠

المحور الثالث :

ويتعلق هذا المحور بالتعريفات أو المفاهيم التى تؤكد على أن علم الاجتماع هو علم نظري تجريبى موضوعي ٠

ومن اشهر علماء الاجتماع الذين عرفوا علم الاجتماع بأنه علم نظري موضوعي تجريبى كل من جون ركس وداتكن ميتشل ٠

فعلم الاجتماع علم نظري ذلك لأنه فى دراسته للظواهر الاجتماعية يهدف إلى المعرفة العلمية حيث أن الباحث السوسيولوجى يهدف من وراء دراساته إلى اكتشاف الحقائق ، ومدى انتظام حدوث الظواهر فى الحياة الاجتماعية ، بغض النظر عن استخدام هذه الحقائق فى التطبيق العملي ، فالباحث السوسيولوجى يسعى إلى التوصل للنتائج العلمية ولا يهتم بتطبيق هذه النتائج على المجتمع حيث أن مهمة التطبيق العملي تقع فى دائرة اختصاص العلوم الاجتماعية التطبيقية ٠

وعلم الاجتماع علم تجريبى حيث أن علم الاجتماع لكى يكون علما بالمعنى الدقيق فلا بد أن يكون علما تجريبا مثل غيره من العلوم

الطبيعية (الكيمياء والفلك والطبيعة) حيث انه بدون هذا التجريب سيصبح علم الاجتماع نوعا من الفلسفة أو فلسفة التاريخ ٠

ويقصد بالتجريب فى علم الاجتماع ما يلى :

١ – عدم التسرع فى الحكم على نتائج الظواهر الاجتماعية دون ملاحظتها ٠

٢ – ضرورة الاعتماد على طرق ومناهج وأدوات بحث علمية فى الوصول إلى أية نتائج عن أية ظاهرة اجتماعية ٠

٣ – عدم كتابة أو قول أي شئ عن أية ظاهرة إجتماعية دون كشف أو إثبات ، وعن طريق الحقائق نفسها ٠

وعلم الاجتماع علم موضوعي حيث أن الباحث السوسيولوجى يجب أن يكون غير متحيز أو متعصب عند دراسته لمشكلة معينة ، أو عند ملاحظته للظواهر الاجتماعية وترددها ٠ ويجب على الباحث السوسيولوجى أن يتخلى تماما عن النظرة الذاتية ، ويتخلى أيضا عن التحيز أو التعصب لدين أو وطن أو طبقة أو أيديولوجية معينه دون أخرى وذلك فى أثناء دراساته لأية مشكلة إجتماعية ٠

والهدف من دراسة علم الاجتماع فهم المجتمع الذى نعيش فيه من أجل الإسهام فى حل مشكلاته والتزود بالمهارات اللازمة لمعالجة قضاياه الاجتماعية ٠

٢- موضوعات علم الاجتماع

يهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية وصفية تحليلية والغرض منها الوصول إلى الوظيفة التى تؤديها هذه الظواهر والنظم والقوانين التى تحكمها ٠

والظواهر الاجتماعية هى تلك الظواهر التى تنجم عن تجمع الناس معا وتفاعلهم بعضهم مع بعض ودخولهم فى علاقات تبادلية وتكون ما يطلق عليه الثقافة المشتركة أي الاتفاق على أساليب معينه للتعبير عن أفكارهم ورموز معينة تؤدى إلى دلالات محددة ، كما أنهم يتفقون على قيم محددة وأساليب معينة للتعاون الاقتصادي ٠٠٠٠ الخ ٠

ومن أهم الخصائص التى تتسم بها الظواهر الاجتماعية :

(١) الموضوعية والشيئية والخارجية :

فالظواهر الاجتماعية ليست إحساسا أو شعورا داخليا أو خيالاً وإنما هى حقيقة موجودة بصورة واقعية خارج كياننا الذاتي ويمكن دراستها بصورة ما باعتبارها شيئا يشغل حيزا فى الزمان والمكان ٠ فنحن كباحثين فى علم الاجتماع لا نتعامل مع ما ينبغى أن يكون وإنما نتعامل مع ما هو موجود أو قائم فإن بحوثنا تدور حول ظاهرة الزواج وليس الأفراد المتزوجون ٠ فظاهرة الزواج شئ والأفراد المتزوجون شئ آخر ٠ فالظاهرة توجد فى كل مجتمع وتنتقل من جيل إلى جيل دون أن تتأثر بتغير الأفراد.

وقد قرر دور كايم هذه الصفة قال يجب دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها أشياء قاصدا بذلك أن يقوم الباحث بدراسة الظواهر

الاجتماعية دراسة موضوعية بعيدة عن الأفكار السابقة ووجهات النظر الخاصة ٠ فهى أمور واقعية لا يمكن أن تمتزج بميولهم وغرائزهم ٠ فالظاهرة الاجتماعية مستقلة عن الأفراد بحيث يمكن ملاحظتها كأشياء منفصلة عن الحياة الفردية ، وبالتالى يمكن دراستها دراسة موضوعية إذا ما اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الأحصائى ٠

(٢) التلقائية :

فالظواهر الاجتماعية تنشأ عادة بصورة تلقائية لإشباع الحاجات الضرورية ، فهى ليست من صنع الفرد ولكنها تنبثق من تلقاء نفسها تلبية حاجات العمران والاجتماع الإنسانى ولهذا فهى من خلق المجتمع أو من صنع العقل الجمعى ٠ فالظواهر الاجتماعية لا تدين بوجودها لفرد لأنها موجودة قبل أن يوجد الأفراد ٠

إلا أن تطور الظواهر الاجتماعية يختلف فى بعض الأحيان فمنها من يتطور بصورة تلقائية كالظواهر المتعلقة بنظام الأسرة ونظام الفن ونظام اللغة ٠ ومنها من يتطور بطريقة شعورية عقلية مقصودة وتسير وفقا لخطة مرسومة كالظواهر المتعلقة بالنظم الاقتصادية والقضائية ٠

(٣) الإلزام والجبرية والقهرية :

للظواهر الاجتماعية قوة تفرض نفسها على الأفراد وتوجب كل منهم أن يسير حسب تعاليمها سواء إتفق ذلك مع رغبته الفردية أم لم يتفق ٠ رضى أم كره فهو مجبر على الأخذ بها ، ومن يخرج عليها يلقى مقاومة عنيفة بالجزاء المادى أو التحقير الاجتماعى ٠ فإذا اعتدى شخص على آخر تعرض لطائلة القانون ، وإذا افطر شخص فى شهر رمضان تعرض لسخريه الجماعة وتهكمها ٠ فمن يحاول الخروج على

طبيعة الحياة فى مجتمعة بما يحيوه من نظم وظواهر اجتماعية عليه أن يتحمل الجزاء الذى وضعه المجتمع لكل من يخالف نظمه وقيمه ٠

وعلى الرغم مما تمارسه الظواهر من قهر وإلزام على الأفراد إلا أن هذا الإلزام أو القهر محبب إلى النفس حيث إن التنشئة الاجتماعية تعمل على ترويضها لتقبل الوضاع الاجتماعية والتمسك بمعايير المجتمع بما تجعلنا نجد أنفسنا مدفوعين إلى إحترامها وصيانتها ٠

وهذه الخاصية يسميها بعض العلماء بالجاذبية تلك التى تخفف شعور الأفراد بجبريه وإلزام الظواهر الاجتماعية ٠

(٤) النسبية :

تتميز الظاهرة الاجتماعية بالنسبية فهى لا تسير على نمط واحد فى كل المجتمعات وإنما تتباين وتختلف فى المجتمع الواحد طبقا لبعد الزمان وتختلف كذلك بين مجتمع وآخر طبقا لبعد المكان وهذا كله فى ضوء معايير وقيم المجتمع حيث نلاحظ تباين أشكال الظواهر الدينية مثلا بإختلاف المجتمعات فمنها من يأخذ بوحدانية الإله ، ومنها من يتجه إلى التعدد ، ومنها من يعبد الشمس أو البقر ٠٠٠ الخ ٠ كما نلاحظ حاليا التباين فى أشكال ظاهرة الزواج فهناك بعض المجتمعات تأخذ بنظام تعدد الأزواج وهو نظام موجود ومقبول عند بعض أقوام الإسكيمو ولدى أقوام الباهيما فى وسط أفريقيا ٠ ولماذا نذهب بعيدا ففي إسرائيل نظام اقتسام أو تبادل الزوجات وهو نظام معلن فى عديد من وسائل إعلامها ٠

(٥) العمومية :

تمتـاز الظـواهر الاجتماعيـة بأنهـا عامـة ومنتشـرة ويشـارك فيهـا مجموعـة كبيـرة مـن أفـراد المجتمـع فهـى ليسـت مـن الأمـور الفرديـة التـى يخـتص بهـا الأفـراد مثـل الظـواهر النفسـية المتعلقـة بـالإدراك والوجـدان والنزوع ٠

فالظـاهرة الاجتماعيـة ظـاهرة تاريخيـة سـابقة الوجـود علـى الوجـود الفردي فـالفرد يولـد فـى الحيـاة وتقـوم الأسـرة بتنشـئته اجتماعيـا وعلـى أن يكـون مواطنـا صـالحا فاضـلا وتكيفـه وفقـا للأوضـاع والأسـاليب والظـواهر الاجتماعيـة ٠ ولعـل ذلـك يجيـب علـى التسـاؤل الـذى يراودنـا كثيـرا ومؤداه هل الفرد سابق فى وجوده على المجتمع أم المجتمع سابق فى وجوده على الفرد ؟ ولماذا ؟ من وجهة نظري أرى أن المجتمع سابق على الفرد فحينما دبـت الحيـاة البشـرية علـى هـذه الأرض بـان خلـق الله سـبحانه وتعـالى آدم وخلـق حـواء مـن ضـلع آدم وجـدا أمامهمـا نظامـا اجتماعيـا ٠ ومـن وجهـة النظـر السوسـيولوجية فـان وجـود الكيـان الجمعـى سـابق علـى وجـود الفـرد فنحن نتعلمه بعد الولادة من الأسرة وباقي المؤسسات فالمجتمع أستاذ الفرد ومعلمه الأول ٠

(٦) الترابط والتساند والتكامل :

تمتاز الظواهر الاجتماعية بالترابط حيث يؤثر بعضـها فـى البعض الآخـر ويفسـر بعضـها الـبعض الآخـر ، فهـى لا تعمـل منفـردة ولا يمكـن دراستها منعزلة فكل ظاهرة اجتماعية تؤثر فى الظواهر الاجتماعية وتتأثر بهـا فـى الوقـت نفسـه ، وكـل تغيـر فـى أيـة ظـاهرة يـؤثر فـى غيرهـا مـن الظواهر ٠ فمثلا الظاهرة الاقتصادية من حيث الدخل تؤثر فى الأسرة من

حيث مستوى المعيشة كما أن الظواهر الاقتصادية مرتبطة أشد الإرتباط بالأوضاع السياسية والأخلاقية والتربوية ٠ كما أن الظاهرة الاقتصادية تؤثر على ظاهرة التدين فيكثر مثلا عدد الحجاج وتزداد المشروعات الخيرية ٠٠٠ الخ ، كما أن الدين يؤثر فى الحالة الاقتصادية فمثلا للدين تأثير كبير فى القوة الشرائية على بعض السلع فى إطار عملية التحليل والتحريم ٠ فالهند هناك البعض يحرم لحوم البقر ، وتحرم الدول الإسلامية لحوم الخنزير وشرب الخمر فتقل أسعارها ٠

الفصل الثاني

تاريخ علم الاجتماع

مقدمة

أولا : الفكر الاجتماعي فى الشرق القديم

ثانيا : الفكر الاجتماعي عند اليونان

ثالثا : الفكر الاجتماعي الروماني المسيحي

رابعا : الفكر الاجتماعي الإسلامي

خامسا : فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع

مقدمة :

نشأ علم الاجتماع بين أحضان الفلسفة ، وقد إستقل عنها حينما أكتمل عودة ووصل إلى مرتبة العلم المستقل ، وكانت له مجالاته الخاصة وقوانين دقيقة كغيره من العلوم ، وله مناهج علمية قائمة على الملاحظة والتجربة وفرض الفروض ومحاولة اختبارها ، واستطاع العلماء المحدثون التوصل على نتائج وقوانين أمكن صياغتها في صور كمية بل ومعادلات رياضية ورسوم بيانية عن الحياة الاجتماعية بأدق النتائج ٠

وإذا ما حاولنا تتبع تطور الفكر الاجتماعي فإن بعض المفكرين ذهبوا إلى القول بان بدء تاريخ الدراسات الاجتماعية يقترن بدراسة الفلسفة اليونانية بإعتبارها أول صورة للتفكير الإنسانى المنظم غير أن التسليم بهذا يهضم عظمة الفلسفة الشرقية وهى سابقة فى ظهورها على فلسفة اليونان ، فبلاد الشرق كانت بمثابة التربه الخصبة والأصلية التى نبتت فيها بذور الفلسفة ثم انتقلت إلى بلاد اليونان حيث نمت وإزدهرت ٠

أولا : الفكر الاجتماعي في الشرق القديم :

لم يحظ هذا الفكر بقدر من الاهتمام الذي خطى به الفكر الغربي القديم وذلك لسببين هما :

١- تعمد علماء الغرب تجاهل هذا الفكر تحت تأثير التعصب والرغبة في إظهار أصالة الفكر الغربي وحده دون غيره ٠

٢- جهل علماء الغرب بلغات دول الشرق القديم كالفرعونية والفارسية والصينية القديمة ٠

ففي مصر القديمة عرف الفراعنة أدق نظم الحكم ووضعوا من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكثير ٠ وفى الهند ظهرت صور مختلفة من العادات والتقاليد والعقائد التى كان لها تأثيرها على أنماط السلوك وأساليب التفكير الاجتماعي والسياسي ، وفى الصين القديمة ظهرت طوائف من الحكماء والفلاسفة الذين درسوا موضوعات تدخل فى صميم الحياة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية حيث نجد فلسفة كنفوشيوس حكيم الصين التى لا زالت تعد من بين الفلسفات الإنسانية التى تحاول أن تضع حلولا عملية للمشكلات التى يعانى منها أفراد المجتمع ٠

إلا أن هذه الأفكار الفلسفية للشرق القديم كانت أشبه بتأملات فلسفية ينقصها النزعة التحليلية كما أنها كانت مفككة غير مرتبطة

بنظـام معـين بعكـس فلاسـفة اليونـان الـذين إسـتطاعوا أن ينظمـوا معارفهم تنظيماً منهجياً موضوعياً فبدأ تفوقهم على فلاسفة وحكماء الشرق القديم ٠

ثانيا : الفكر الاجتماعي عند اليونان :

يعد هذا الفكر ذا أثر عظيم فى العالم القديم وفى أوربا وغيرها فى العصور الوسطى كذلك ، ولقد وجد فى اليونان القديمة ثلاثة من أعظم مفكرى ذلك العصر سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطو وكان الأول أستاذ الثانى ، والثانى أستاذ الثالث ٠

(١) سقراط (٤٦٩ – ٣٩٦ ق ٠ م) :

لقد أكد سقراط على ضرورة وجود معايير ثابتة للأقطار والقيم الاجتماعية ومنها إعتبار الفضيلة وسطا بين رذيلتين ، وقد حاول فى معرض حديثة عن الفضيلة والرذيلة التعرض إلى أسباب السلوك المنحرف وذهب إلى أن الفرد لا يقدم على فعل الشر عن وعى وإدراك كاملين ، وإنما يتم ذلك نظراً للجهل وإنعدام البصيرة ولو عرف الإنسان الفضيلة لأقدم عليها ، فالجهل أسباب الرذيلة وأساس السلوك المنحرف ، أما السلوك السوى فمرده إلى العلم ٠

كما كان لسقراط اتجاه تجريبى فى البحث الاجتماعى من خلال الحوار واستطلاع أوجه النظر بحيث تنتهي الآراء المتناقضة وتستقر على قاعدة واضحة المعالم ٠

لم يكتب سقراط شيئاً ، إلا أن تعاليمه تستخلص مما كتبه تلميذاه زينوفون وأفلاطون ، فالأول وضح تاريخ حياته ، وفند إنتقادات خصومه ، والثانى شرح أراؤه السياسية والاجتماعية ولكنه صاغها بأفكاره الشخصية ٠

(٢) أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق ٠ م) :

قرا أفلاطون كتب الفلسفة واستمع إلى أحد أتباع هيراقليطس ، ولما ناهز العشرين من عمره عرف سقراط واعجب به ولزمه إلى النهاية ثماني سنوات ، ثم سافر إلى عديد من دول العالم ومنها مصر وقضى بها ما يقرب من العام ٠ وعلى الرغم من انتساب أفلاطون إلى الطبقة الأرستقراطية ، وأن نشأته كانت فى بيت من الحكام وكان أجداده من الملوك والمشرعين إلا أن أفلاطون كره المجتمع الأثينى وعاب عليه تفانيه فى حب المادة ، هذا فضلا عن أن المجتمع الأثينى كان يعيش فى مشكلات عديدة نتيجة سيطرة أسبرطة على أثينا فعاشت فترة من حكم الطغاة استعادت بعدها النظام الديمقراطى ٠

ولقد عرض أفلاطون معظم آرائه فى كتابه " الجمهورية " وكان يهدف من عرضه لهذا الكتاب إلى وضع أسس للمدينة الفاضلة تلك المدينة التى تخلو من الشرور والآثام وتظلها العدالة والمساواة ، ترفرف عليها الفضيلة من كل جانب ، وتشرف عليها طبقة الفلاسفة ، فالمجتمع عنده ينقسم إلى ثلاث طبقات :

١ – طبقة الفلاحين والصناع وهى تأتى فى أدنى السلم الاجتماعى ومهمتها تأمين المجتمع وضمان حياة الطبقتين التاليتين ٠ وهى الطبقة الوحيدة التى يحق لها التملك وتكوين أسرة ٠

٢ – طبقة الجند ٠

٣ – طبقة الفلاسفة والحكام ٠

ويرى أفلاطون أن الطبقتين الثانية والثالثة لا يحق لها التملك أو تكوين أسرة حيث أن مهمتها الأساسية هى إدارة شئون المجتمع وحمايته ٠

وفى تصور أفلاطون أن كل طبقة من هذه الطبقات يجب أن تتحلى بفضيلة معينة وذلك لكى يقوم هذا البناء الطبقى بوظائفه ، فطبقة الحكام يجب أن تتحلى بفضيلة الحكمة والفطنة ، أما طبقة الجند فيجب أن تتحلى بفضيلة الشجاعة وحب المخاطرة ، وأخيراً فإن طبقة العمال يجب أن تتحلى بفضيلة الاحتمال والتعفف ٠

(٣) أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٣ ق ٠ م) :

هو تلميذ أفلاطون واستاذ الأسكندر الأكبر ويطلق على ارسطو اسم " مؤسس علم ما قبل علم الاجتماع " لأنه كان أول باحث فى العصور القديمة يلجأ على المنهج الاستقرائى أى جمع المعلومات ثم ترتيبها واستنتاج عدد من القواعد العامة منها أى القيام بما نسميه اليوم المسح الاجتماعى ٠

إن التراث الذى تركه أرسطو كان له أثر على كثير من العلوم الاجتماعية ولذا فنحن العرب نطلق عليه المعلم الأول احتراما لعلمه وتقديراً لمكانته ٠

ويمكن تلخيص فلسفة أرسطو من الناحية العلمية فى أربعة آراء هى :

الأول : البحث عن الإنسان من حيث هو كائن اجتماعى وسياسى وهذا هو الجانب الاجتماعى والسياسى ٠

الثانى : البحث عن الإنسان من حيث أنه عضو فى جماعة له حقوق وعليه التزامات وهذا هو علم الأخلاق ٠

الثالث : البحث عن الانسان من حيث أنه مفكر وهذا هو علم المنطق ٠

الرابع : البحث عن الانسان من حيث أنه مفكر يريد أن يعبر عما يجول فى خاطره من صور وحكم وهذا هو علم البيان ٠

وعلى الرغم من أن أرسطو يعد تلميذاً لأفلاطون إلا أنه يختلف عن أستاذه حيث أكد أرسطو على الجوانب العملية الواقعية فى حين أن

تأكيد أستاذه كان ينصب على الجوانب المثالية ٠ حيث أن أفلاطون أطلق عليه الفيلسوف الواقعى ٠

ولقد أشار أرسطو على عديد من القضايا نذكر بعضاً منها :

١ – إن الانسان كائن اجتماعى سياسى بطبعه ٠ فالإنسان مرتبط تمام الارتباط بالحياة فى مجتمع ولا يمكن فهم الانسان بمفرده معزولا عن الإطار الاجتماعى ٠

٢ – أن الأسرة هى الخلية الأولى للمجتمع أو الوحدة الاجتماعية الأولى حيث يرى أرسطو أن الأسرة تتكون من الزوج والزوجه والأبناء والعبيد ٠ الزوج هو رب الأسرة لأن الطبيعة وهبته العقل الكامل أما الزوجة فهى ربة البيت وأقل عقلا من الرجل ٠ والأبناء هم الاستمرارية فى الأجيال المقبلة ٠ أما العبيد فهم ضرورة اجتماعية وهم اقل قدره من حيث العقل ومهمتهم هى خدمة أفراد الأسرة ٠

وعلى ذلك فإن أرسطو فرق بين الناس ، بين الرجل والمرأة ، وبين السيد والعبد ٠ وهو يرى أن هناك ثمة فروق بين الشعوب حيث يرى أن شعوب الشمال الجليدى تتسم بالشجاعة ولكنهم خلو من الذكاء وأن شعوب الشرق تتسم بالذكاء ولكنهم خلو من الشجاعة أما الشعب اليونانى فقط هو الوحيد الذى يجمع بين الشجاعة والذكاء ٠

٣ – أن المجتمع كائن حى يخضع لقانون الولادة والنمو والموت وهذا معناه أن التغير هو الشرط الوحيد لحياة المجتمعات ٠

٤ – أن الدولة هى الارتباط السياسى للمدينة ٠

٥ – أن القوانين هى وسيلة الدولة فى تنظيم حياة المواطنين ٠

٦ – أن العدالة لا تتحقق إلا بواسطة تطبيق القانون الأخلاقي الذى يدور حول الفضيلة والمساواة الاجتماعية ٠

٧ – اشتهر أرسطو كذلك بنظريته فى الوسط أو ما يسمى أحياناً الوسط السعيد فهو يرى أن السعادة هى الفضيلة وأن الفضيلة وسط بين إفراط وتفريط ٠ فمثلا الشجاعة وسط بين طرفين بين الجبن والتهور وكلاهما رذيلة ٠ والكرم وسط بين طرفين التقتير والإسراف وكلاهما رذيله والحلم وسطا بين طرفين هما الغضب والتبلد ٠ والفضيلة ليست أمر فطريا ولكن يتعلمها الانسان كما يتعلم أى فن ٠

٨– كما أشار أرسطو إلى أهمية الفن وخاصة المسرح والشعر المسرحى واعتبر أن المسرح مجال للتنفيس عن مشاعر الانسان مثل الخوف والغضب والحزن وهذا التنفيس يتم أثناء مشاهدة الأعمال المسرحية وما تزخر به من مواقف تزدحم فيها هذه المشاعر ، فإذا شاهدها الشخص على المسرح واندمج فيها فانه يتخفف من ضغط المشاعر عليه ٠

٩– يرى أرسطو أن الإنسان يتكون من مادة وصوره المادة هى جسمه والصورة هى نفسه وحيث لا وجود لمادة فقط أو صوره فقط فكذلك لا يوجد إنسان بجسم فقط أو نفس فقط ٠

ثالثا : الفكر الاجتماعى الرومانى والمسيحى :

١ – القديس أوغسطين :

عالج القديس أوغسطين فى كتابه مدينة الله عديد من الموضوعات مثل الحق الطبيعى ، والحق الإلهي والاتجاه الإنساني ودور العقيدة الدينية

فى تدعيم العلاقات الإنسانية وتقويمها على أساس من المبادئ الأخلاقية ٠

أهم أفكاره :

١) ان نظام الملكية مصدرة قدسي وضرورة قيام الدولة بالحفاظ على هذا النظام ٠

٢) ان نظام الرق يعد نظاما ظالما من وجهة نظر الإنسانية الخالصه ٠ بينما يعد نظاماً طبيعياً يتمشى مع العدل الإلهي بوصفة نتيجة لخطيئة الانسان وانه يوقع الجزاء الرادع على البشرية ٠

٢- القديس توماس لاكوينى (١٢٢٥ : ١٢٧٤)

أهم القضايا التي تناولها هى أن المجتمع الديني يقوم على ثلاثة أفكار :

١ – أن الإنسان اجتماعى بطبعة وأن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للانسان لكى يحقق اغراضه ٠

٢ – أن المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الآمال المشتركه التى يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم ٠

٣ – لابد من وجود سلطه عليا لكى توجه المجتمع نحو الصالح العام كما يرى أن الظروف المناخية لها آثر على العادات والتقاليد حيث سمو المناطق المتوسطة والمعتدلة ٠ تفوق الشعوب المسيحية عن عداها أن السلطة الكنسية يجب أن تسبق السلطة السياسية ٠

رابعا رواد الفكر الاجتماعى الإسلامى :

سنذكرها هنا بعض رواد الفكر الاجتماعى الإسلامى الذين كان لهم بعض الاجتهادات الخاصة فى الفكر الاجتماعى ومنهم :

(١) الفارابى :

هو أبو النصر محمد بن طرخان الفارابى ، ولد فى مدينة فاراب فى إقليم خراسان بتركستان حوالى عام ٢٥٩ هـ – ٨٧٢ م وتوفى فى دمشق عام ٣٣٩ هـ – ٩٥٠ م وهو من المفكرين المسلمين الذين لاقت دراساتهم إهتماماً كبيراً حتى لقب بالمعلم الثانى ٠ وذلك بعد أن أطلقوا على أرسطو : المعلم الأول فضلاً عن تأثره بآراء أفلاطون المثالية ٠

وأهم الكتب التى ألفها فى مجال الفكر الاجتماعى ، كتابان قيمان أحدهما : " كتاب السياسات المدنية " والآخر " آراء أهل المدينة الفاضلة " والكتاب الثانى هو أشهر مؤلفاته وأصدقها تعبيراً عن آرائه الاجتماعية ٠ وغاية الفارابى فى هذه الكتاب واضحة ، وهى تكوين مجتمع فاضل على غرار جمهورية أفلاطون ، وضع لقيامه منهجاً ورسم فى بحثه المبادئ الرئيسية التى يقوم عليها وقسم الفارابى كتابة قسمين : عرض فى القسم الأول منهما الدعائم التى يريد أن يقيم عليها مدينته المثالية ٠ أما القسم الثانى الذى يعنينا فى الدراسات الاجتماعية فكان تخطيطاً للقواعد التى أراد أن يرسى عليها مدينته الفاضلة ، وشرح المبادئ التى ينبغى أن تقوم عليها المدينة ، التى تمنى أن تكون ٠ ولقد جاء الفارابى إلى مصر فترة قصيرة ، وكان كثير الترحال ميالاً إلى الزهد والتقشف ، لا يحفل بأمر مسكن ، لم يكنز المال ، لم يتزوج كان يؤثر العزلة ، ويحب الموسيقى ٠

وأهم المسائل التى عالجها الفارابى : تحليل الضرورة الاجتماعية وتقسيم المجتمعات ، ودعائم المدينة الفاضلة ، وصفات رئيسها ٠

أما عن الضرورة الاجتماعية ، أى ضرورة وجود الإجتماع الإنسانى فهو يقرر – كما يقرر أرسطو – أن الإنسان مدنى بالطبع ، أى أن الإجتماع الإنسانى فطرة ، فإن الإنسان محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس فى وسعه أن يستقل بآدائها وإشباعها لنفسه منفرداً فلأبد من التعاون مع بنى جنسه حتى تتحقق الغاية من الإجتماع الإنسانى ٠

ولكى تتم سعادة الإنسان ، لأبد أن يشمل التعاون جانبيه الروحى والفكرى من ناحية ، والمادى أيضاً من ناحية أخرى ٠

ثم ينتقل الفارابى بعد ذلك إلى تقسيم المجتمعات ، فيقسمها إلى مجتمعات كاملة ، ومجتمعات ناقصة أى غير كاملة ٠ والمجتمعات الكاملة هى التى يتحقق فيها التعاون الاجتماعى بأكمل صوره ، وأرقى مظاهرة ٠ والمجتمعات الكاملة تنقسم إلى ثلاثة أشكال هى :

١– المجتمع العالمى ٠ ٢– المجتمع الأوسط ٠

٣– المجتمع الأصغر ٠

أكملها المجتمع العالمى ثم المجتمع الأوسط ثم المجتمع الأصغر ٠ والمجتمع العالمى يشمل إجتماع أهل المعمورة كلها ، أما المجتمع الأوسط فيشمل إجتماع الأمة ، فى حين أن المجتمع الأصغر فيشمل المدينة ٠

والمجتمعات الناقصة هى التى لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها ولا تحقق لأفرادها السعادة المنشودة ٠

والمجتمعات الناقصة أو غير الكاملة تنقسم الغ ثلاثة أشكال هى :

١- مجتمع القرية الذى يشمل سكان القرية ٠

٢- مجتمع الحى الذى يشمل سكان الحى ٠

٣- مجتمع المنزل الذى يشمل أفراد أسرة واحدة ٠

ووجه الفارابى مزيد عنايته إلى مجتمع المدينة لأنها أبسط أشكال المجتمعات الكاملة ، ولبنته الأولى ٠ ويقرر ، وهو المفكر المسلم أن هذه المدينة لأبد أن تدين بالدين الإسلامى خاضعة لحاكم مسلم ، أى أنه من الضرورى قيام الوحدة الدينية فى هذا المجتمع المثالى ٠ لأن هذه الوحدة من شأنها أن تعزز الوحدة الروحية والسياسية ٠

والمدنية الفاضلة فى نظر الفارابى هى التى يتعاون أفرادها على الأمور التى تتحقق بها السعادة ويختص كل واحد من أفرادها بالعمل الذى يحسنه والوظيفة التى يتهيأ لها بطبعه وحسب إستعداده ٠

ويشترط الفارابى فيمن يصلح لتولى رياسة المدينة أن يكون ذا صفات متعددة بعضها أصيل والآخر متكسب ٠ أما الأصيل منها فعددها فى أثنتى عشر فضيلة هى أن يكون تام الأعضاء سليم الحواس ، وأن يكون جيد الفهم والتصور ، جيد الحفظ والفهم ذكياً فطنا ، حسن العبادة ، محباً للعلم ، وأن يكون بطبيعته كارها للذات الدنيوية غير شره ، محبا للصدق وأهله ، وأن يكون محبا للكرمة ، تعاف نفسه ارتكاب الدنايا ، وأن تكون أغراض الدنيا عنده هينة ٠ محبا للعدل وأهله ، قوى العزيمة لا يضعف أبداً ولا يخاف ، وأما الصفات المكتسبة فيراها فى أن يكون حكيماً ، عالماً جيد الاستنباط ، قادراً على ابتكار النظم والتشريعات ، عالماً بكل تشريع قديم ، ثم أن يكون قوى البدن قادراً على قيادة الجيوش كلها ٠

والواضح أنه من المتعذر فى الواقع وجود رجل فرد تتوافر فيه كل هذه الصفات جميعاً ، إن لم يكن هذا المطلب العقلى والنفسى والفكرى والروحى من باب المستحيل ٠

والفارابى لا يكتفى بضرورة توافر هذه الشروط فى رئيس المدينة بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيقول إن أفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة إلا إذا كانوا على غرار رئيسهم وأصبحوا صورة منه ٠

ومثل هذه المدينة التى أرادها الفارابى لا يمكن فى الواقع إلا أن تظل فى مجال التمنيات الطبية ٠ وعلم الاجتماع يرفض أن يجعل محل

دراسته التمنيات التى يستحيل تحقيقها فى مجتمع الناس العاديين من أوساط البشر الذين يكونون الكثرة فى أى مجتمع بشرى ٠

(٢) إبن خلدون :

من أقواله " إن من اشد الظلمات وأعظمها فى إفساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق " ٠

وهو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد فى تونس فى أول رمضان ٧٣٢ هـ الموافق ٢٧ مايو ١٣٣٢ م وتوفى بالقاهرة فى ٢٥ رمضان ٨٠٨ هـ الموافق ١٥ مارس ١٤٠٦ م ٠

وينتسب إبن خلدون إلى أسرة عربية يمنيه يحضر موت ٠ ولقد غادر إبن خلدون تونس وهو فى العشرين من عمره بعد أن حدث الطاعون وهلك والداه وبعض شيخته ، ولم يعد إلى تونس إلا بعد ٢٦ عاماً نقل خلالها فى كثير من بلاد المغرب وأسبانيا واتصل بسلاطين تلك البلاد وتولى كثيراً من الأعمال السياسية ٠ رفعته السياسه حينا حتى وصل وزيراً وخفضته حينا حتى صار سجينا ، فسئم العمل السياسى واعتزله سبع سنوات من ١٣٧٥ م إلى ١٣٨٢ م كتب فيها مقدمته المشهورة " العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر " ٠

" ولقد استقر به المطاف فى مصر وخاصة فى كل من الإسكندرية والقاهرة وكان الأزهر الشريف هو المأوى الأخير له حيث كان يحاضر فى الأزهر وزادت أعداد تلاميذه ومريديه ٠

ويمكن هنا عرض أهم الموضوعات التى تناولتها مقدمته :

١- الاجتماع الإنسانى (موضوعه ، أهميته ، منهجه) :

دعا إبن خلدون فى مقدمته إلى جعل العمران البشرى موضوعاً لعلم مستحدث ، ويقول إن واقعات هذا العمران تحكمها فى الواقع قوانين ثابتة لابد أن تكون غاية هذا العلم إستنباطها والكشف عنها ، ويقول أيضاً " وكأن هذا علم مستقل بنفسه ، فإنه ذو موضوع ، وهو العمران البشرى والإجتماع الإنسانى ، وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته ، واحدة بعد الأخرى ، وهذا شأن كل علم وضعياً كان أم عقلياً ٠

ويقصد إبن خلدون من كلمه " العوارض الذاتية " والتى استعملها كثيراً فى مقدمته ، ما نقصد نحن من كلمة قوانين ٠

- ويؤكد إبن خلدون أن دراسته التى أتمها على ذلك الوجه لم يسبقه بها أحد وفى هذا يقول " وأعلم أن هذا الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة ، أوجده الباحث وأدى إليه الغوص " ثم يقول " وكأنه علم مستنبط النشأة ، ولعمرى لم أقف على كلام فى منحاه لأحد من الخليقة " ٠

- وهكذا يتضح لنا إن إبن خلدون قد دعا فى مقدمته إلى ضرورة إنشاء علم لدراسة الظواهر الاجتماعية أطلق عليه علم العمران البشرى ٠ كما قام بوضع الأسس العلمية والمنهجية التى يجب على كل باحث فى المجتمعات البشرية أن يلتزم بها ، وهكذا يمكن الجزم بأن إبن خلدون هو أول عالم يقرر صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد وأنه المنشئ الأول لعلم الاجتماع ، لأنه أول من إستكمال الخصائص المنطقية التى يجب توافرها فى كل علم من حيث الموضوع والمنهج والأغراض التى يرمى إليها ٠ فالفضل فى إنشاء علم الاجتماع يعود إلى المفكر العربى المسلم إبن خلدون ، لا كما يدعى الإيطاليون الذين ينسبون فضل ذلك إلى فيكو ١٦٦٨ – ١٧٤٤ ، ولا كما يدعى البلجيكيون الذين يعتبرون أن أدولف كتيلية ١٧٩٦ – ١٨٧٤ م هو أول من استخدم الفيزياء الاجتماعية ، ولا كما يدعى الفرنسيون أن أوجست كونت ١٧٩٨ – ١٨٥٧ م بأنه مؤسس علم الاجتماع بلا منازع ٠ فتاريخ علم الاجتماع وبشهادة علماء الغرب أنفسهم أمثال جمبلوفتش ، وكولز ، وشميدت ، بل وأرنولد توينبى الذى ذكر صراحة بأن مقدمه إبن خلدون وما تتضمنه من أفكار تعد أعظم عمل من نوعه لا يمكن لأى عقل أن يجود يمثله فى أى عصر أو أى مكان " – هذا التاريخ أى تاريخ علم

الاجتماع يؤكد أن هناك مفكر عربى قبل هؤلاء جميعاً بنحو أربعة قرون أقام صرح هذا العلم على أسس منهجية ودرس مسائلة واستنبط قوانينه وهو إبن خلدون ٠

- ولقد اهتم إبن خلدون بتوضيح أغراض وميادين علم العمران البشرى حيث يرى أن لهذا العلم أغراض مباشرة وأغراض غير مباشرة ٠ وتتخلص الأغراض المباشرة فى ضرورة الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ، والوقوف على القوانين التى تخضع لها ٠ أغراض نظرية) ٠ أما الأغراض غير المباشرة فهى تتلخص فى الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه فى حقائق التاريخ وتحليل الأخبار وتعليل الأحداث (أغراض عملية) ٠
- ويعتبر إبن خلدون من أهم مؤرخى المسلمين ٠ وقد اسماه البعض مؤسس علم التاريخ لأنه ذهب إلى أن التاريخ فرع نوعى من المعرفة يهتم بكامل مجال الظاهرات الاجتماعية للتاريخ الفعلى ويكشف المؤثرات المختلفة التى يعمل فيها وباستمرارات الأسباب والنتائج وبالمكونات الفيزيقية والنفسية ٠
- ويعرف إبن خلدون التاريخ تعريفاً اجتماعياً فيقول " يهدف التاريخ إلى إفهامنا الحالة الاجتماعية للإنسان أعنى الحضارة ، ويهدف كذلك إلى أن يعلمنا الظواهر التى ترتبط بهذه الحضارة وإلى معرفة الحياة البدائية وتهذيب الأخلاق وروح الأسرة والقبيلة ٠

- ويقسم إبن خلدون مقدمته إلى ستة فصول تستوعب تقريباً كل فروع علم الاجتماع المعروفة لدى الاجتماعيين المحدثيين وهى على التوالى :

١- الفصل الأول وعنوانه " العمران البشرى على الجملة " وبعد هذا الفصل أساساً لعلم الاجتماع العام ٠

٢- الفصل الثانى وعنوانه " فى العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل " وهى أبحاث فى أصول المدنيات القديمة ، ويكاد يختص بها علم الإنسان أو الأنثرويولوجيا وكذلك علم الاجتماع البدوى ٠

٣- الفصل الثالث وعنوانه ط فى الدولة العامة والملك والخلافة والتراتيب السلطانية " وهو دراسات لمسائل السياسة والحكم ن وأصبحت اليوم موضوع علم الاجتماع السياسى وكذلك علم الاجتماع القانونى ٠

٤- الفصل الرابع وعنوانه " البلدان والإحصاء وسائر العمران " وهو مجموعة من البحوث فى النظم العمرانية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع المهنى ٠

٥- الفصل الخامس وعنوانه " فى المعاش ووجوهه فى الكسب والصنائع وما يعرض فى ذلك من الأحوال " وهو دراسات للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع الاقتصادى ٠

٦- الفصل السادس وعنوانه " فى العلوم واكتسابها وتعلمها " وهو دراسات تربوية ولغوية وما يعرف اليوم بعلم الاجتماع التربوى ٠

ويثبت إبن خلدون بهذه المعالجة لمختلف مجالات العمران البشرية الحقيقية التى مؤداها " أن الإجتماع ضرورى للنوع الإنسانى " حيث إن قدرة الواحد من البشر تعجز عن أن تحقق حاجته ، فبالتعاون بين أبناء جنسه يحصل قدر الكفاية من الحاجة ٠

كما أن التعاون يحقق البقاء والاستمرار والدفاع عن الجنس البشرى ضد مصادر العدوان ٠ ويقول إبن خلدون " إن هذا الإجتماع إذا حصل للبشر وتم عمران العالم بهم ، فلأبد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما فى طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم ، ويكون هذا الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك ٠

* أما عن المناهج الملائمة لبحث موضوع العمران البشرى طبقاً لوجهة نظر إبن خلدون :-

هناك ست قواعد للمنهج الذى استخدمه أبن خلدون وكشف به علمه الجديد وهى :-

١- الشك والتمحيص ٠
٢- التشخيص المادى ٠
٣- تحكيم أصول العادة وطبيعة العمران ٠
٤- القياس بالشاهد والغائب ٠
٥- السير والتقسيم ٠

٦- الحيطة عند التعميم ٠

واتبع إبن خلدون الخطوات الآتية :-

١- الاعتماد على ملاحظة ظواهر الاجتماع فى الشعوب التى أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها ٠

٢- تعقب الظواهر فى تاريخ هذه الشعوب بنفسها فى العصور السابقة لعصره ٠

٣- تعقب أشباهها ونظائرها فى تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها ٠

٤- الموازنة بين هذه الظواهر جميعاً والتأمل فى مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها وما تؤديه من وظائف فى حياة الأفراد والجماعات ، كذلك تحديد العلاقات التى تربطها بعضها ببعض والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر الكونية ٠

٥- استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر من قوانين ٠

* ويشير إبن خلدون فى إطار استخدامه للمنهج التاريخى أن على الباحث ألا يقبل شيئاً على أنه صدق أو حق الا بعد أن يتأكد بوضوح أنه كذلك ، أى يجدر به ألا يتأثر بآراء سابقيه أو يتخذ من الأساطير وآراء الآخرين غير المؤكدة أساساً لدراسته ٠

ويفرق إبن خلدون هنا بين التاريخ الوقائعى ، الذى لابد فيها من الإعتماد على مقاييس تفرز الغث من السمين ، وتميز الحق من الباطل ، وبين العمران البشرى والإجتماع الإنسانى وكأنه علم مستقل بنفسه ، وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة تلو الأخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً ٠

كما أهتم إبن خلدون بمنهج المقارنة بين ماضى الظاهرة وحاضرها ، وأكد على أهمية وصول العلم إلى صوغ القوانين التى تحكم العمران من خلال الملاحظة ، والتحليل والتفسير فى إطار تاريخى حتى يمكن الوصول إلى القوانين التى تحكم المجتمع ٠

٢- المحاكاة والقهر الاجتماعى :

يرى إبن خلدون أن الناس الذين يعيشون معاً يحاولون محاكاة بعضهم بعضاً ويتجه هذا الميل نحو إقتداء الأدنى بالأعلى ٠- أو تقليد المغلوب للغالب ، حيث إن النفس ترى الكمال فيمن غلبها وإنقادت إليه ، ويعد هذا أحد أنماط التقليد – تقليد المغلوب للغالب – التى عرضها إبن خلدون والتى تمثل ما هو معروف لدينا فى الدراسات الثقافية العلاقة بين الثقافة الأعلى والثقافة الأدنى خلال عمليات الانتشار الثقافى ، فالثقافة الأعلى تؤثر فى الثقافة الأدنى بشكل أكبر وأكثر فاعلية ٠ فالمغلوب كما يقول إبن خلدون مولع بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ، نحلته ، وسائر أحواله وعوائده ، فالنفس تعتقد الكمال فى من غلبها وإنقادت إليه ٠

وهناك تقليد الأبناء للآباء وهو النمط الثانى من أنماط التقليد عند إبن خلدون ٠

والنمط الثالث من أنماط التقليد هو ما يمكن تسميته بالتقليد الحضارى حيث يقول إبن خلدون " أهل الدولة أبداً يقلدون فى طور الحضارة وأحوالها ، للدولة السابقة قبلهم ، فأحوالهم يشاهدون ومنهم فى الغالب يأخذون " ٠ وهذا يماثل عمليات الإتصال الطوعى السائدة حالياً ٠

* ويؤكد إبن خلدون فى كتاباته على فكرة " القمر الاجتماعى " أو القهر الاجتماعى الذى تمارسه العادات والتقاليد الاجتماعية على الأفراد والجماعات ٠ فلقد سبق إبن خلدون دوركايم فى إشارته إلى جبرية الظواهر ٠

٣- نظرية التطور التدريجى :

يقرر إن خلدون أن من أهم الخصائص التى تمتاز بها ظواهر الاجتماع الإنسانى أنها لا تتجمد على حال واحدة بل تختلف أوضاعها بإختلاف الأمم والشعوب وتختلف فى المجتمع الواحد بإختلاف العصور ٠ فمن المستحيل أن نجد أمتين تتفقان تمام الإتفاق فى نظام اجتماعى ٠ وفى طرائق تطبيقية ، كما أنه من المستحيل أن نجد نظاماً اجتماعياً قد ظل على حال واحدة فى أمة ما فى مختلف مراحل حياتها ٠ تصدق هذه الحقيقة على شئون السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء وسائر أنواع الظواهر الاجتماعية حتى ما يتعلق منها بشئون الأخلاق ، ومقاييس الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة ، فما يكون خيراً فى مجتمع قد يكون شراً

فى مجتمع آخر ، وما تعده أمه ما فضيلة قد تره أمه أخرى رذيلة ، وما يراه شعب مباحاً يراه شعب آخر محظوراً ، بل قد يصل الأمر إلى أن الشئ الواحد كثيراً ما يختلف الحكم عليه من الناحية الخلقية فى أمه ما باختلاف عصورها ٠ فتغير العمران حقيقة أساسية وأحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة إنما هو إختلاف على الأيام والأزمنة وإنتقال من حال إلى حال ٠

ولقد فطن إبن خلدون إلى أن هناك نوعين من التغير الاجتماعى :

١- المباينة بالجملة : أى التغير التدريجى فى العمران كله أو فى جزء من أجزاءه ٠

٢- التبدل بالجملة : أى التغير الجذرى الذى يخلق نمطاً جديداً ومجتمعاً جديداً يخالف المجتمع السابق عليه تماماً ٠

٤- المجتمع من وجهة نظر إبن خلدون :

المجتمع من وجهة نظر إبن خلدون يشبه الكائن الحى يظهر إلى الوجود طفلاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم يصيبه الهرم ويزول ٠

ويرى إبن خلدون أن هناك خمسة أطوار للدولة :

١- طور الاستيلاء على الملك ٠

٢- طور الاستبداد بالحكم ٠

٣- طور الفراغ لتحصيل ثمرات الملك ٠

٤- طور القنوع والمسالمة ٠

٥- طور الإسراف والتبذير ٠

فالمجتمع شأنه شأن الكائن يحيى ويموت ، بل يرى إبن خلدون أن عمر الدولة حوالى ١٢٠ عاماً مقسمه إلى ثلاثة أو أربعة أجيال

- الجيل الأول : جيل البداوة والتوحش والإفتراس ٠
- الجيل الثانى : جيل التحول بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ٠
- الجيل الثالث : جيل الترف والنعيم والحضارة ٠
- الجيل الرابع : جيل الاضمحلال والإنهيار ٠

٥- الإنسان والبيئة :

* العلاقة بين الإنسان والبيئة هى موضوع دراسة علم اجتماع البيئة ٠

ولقد قام إبن خلدون بتقسيم العالم إلى سبعة أقاليم وفسر على أساس هذا التقسيم إنتشار العمران والمدن والأمصار بل وإزدهار الحضارات وتزايد السكان وترف العيش ٠٠٠ الخ ٠

أسوا الأقاليم هى الإقليم الأول والثانى لارتفاع الحرارة والإقليم السادس والسابع لإفراط البرودة ٠ وأن أفضل الأقاليم هو الإقليم الرابع لأنه أكثر الأقاليم إعتدالا فى المناخ ويتبعه كل من الإقليم الثالث والخامس ٠

وهو يرى أن الشرق العربى أحس مناطق العالم لأنه معتدل بين لحرارة الزائدة فى الجنوب والبرودة الشديدة فى الشمال ٠ وأما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها أبعد عن الاعتدال فى جميع أحوالهم وأخلاقهم قريبه من خلق الحيوانات ٠

ويقول إبن خلدون فى تأثير المناخ فى مزاج الناس وسلوكهم بأن الهواء الساخن يبعث على النشوة والدعابة والمرح والطرب ٠ أما سكان المناطق الباردة فإنهم متحفظون لا يظهرون مشاعرهم بسهولة ، كما أنهم لقسوة الظروف الجوية تجدهم يتميزون بالتدبر والتدبير فى المعيشة ، ولهذا يدخرون من أقواتهم ما يكفيهم مدة طويلة ٠ وعلى أية حال فإن إبن خلدون يعطى أهمية كبرى للعامل المناخى الجغرافى فى حياة الإنسان والمجتمع فيجعل البيئة الجغرافية محددة لنمط المعيشة ، ومؤثرة فى العادات والتقاليد ، وفى نظم الحكم ، وشئون الأسرة ، بل قل مؤثرة فى البنية والميول ٠

٦- الحياة البدوية والحضرية :

يفرق إبن خلدون بين نوعين من الحياة البدو والحضر على أساس المهنة فالبدو يحترقون الزراعة والرعى وأما الحضر فيحترقون التجارة والصناعة ٠ وأن المجتمع البدوى والمجتمع الحضرى ضرورى لأنهما مجتمع طبيعى ، إلا أن المجتمع البدوى أقدم من المجتمع الحضرى واصل له وهو أفضل أخلاقاً وأكثر خبره منه لأنه يكفى بضروريات الحياة ، فهو أقرب إلى الفطرة الأولى ، كما أنه أقرب إلى الشجاعة من المجتمع

الحضرى ، فأهل البدو يقومون بالدفاع عن أنفسهم بحكم كونهم ذى عصبية ونسب واحد ، ومن هنا يكون بينهم التعاقد ٠ ونتيجة لحياة القاسية التى تحياها المجتمعات الوحشية وقوة ارتباطها بصلة النسب فإنها تكون أقدر على التغلب على من سواها ، ولذلك فإنها كثيراً ما تغلبت على المجتمعات الحضرية وأخضعتها لنفوذها ، وعندئذ ينتهى المجتمع البدوى إلى مجتمع حضرى ويمارس الملك وكل المظاهر الحضارية ٠ حيث يرى إبن خلدون أن إنتشار الترف فى المدينة يؤثر تأثيراً سلبياً فى أخلاق سكانها وفى علاقاتهم البشرية ، فالتفنن فى الترف يترتب عليه إنتشار الرذائل المعجل بخراب المدن وهذا معنى قوله تعالى " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً " ٠

إن ما عرضه إبن خلدون فى هذا الموضوع يعد أساساً لعلم الاجتماع الريفى والحضرى ٠

٧- الاجتماع السياسى :

أسهم إبن خلدون فى هذا النوع من علم الاجتماع إسهاماً أصيلاً حيث يقرر " بأن الناس محتاجون إلى سلطة فالحكم طبيعى فى الإنسان لما فيه من طبيعة الاجتماع ، وأن العمران البشرى لابد له من سياسة ينتظم بها أمره ، ولأبد أن تكون هذه السياسة معتدلة بعيدة عن فرض المغارم السلطانية ، والمكوس على الرعايا حيث إن ذلك يدفعهم إلى مزيد من الأعمال التى تؤدى إلى كثرة الإعتمار ٠

ولقد عقد إبن خلدون عدة فصول من المقدمة لمناقشة ما أطلق عليه مصطلح العصبية وأثرها فى الحياة الاجتماعية والسياسية صلتها بالدولة فى مختلف أطوارها وعهودها ٠ والعصبية ببساطة تعنى الرابطة القرابية التى تلعب دوراً فى الحياة الاجتماعية فى الأقطار العربية على وجه الخصوص ولابد فى تكوين الدولة من ظهور الزعامة المستندة إلى قوة العصبية ٠

* ويشرح إبن خلدون كيفية قيام الدولة حيث يميز بين المجتمعات البدائية فهناك العشيرة والقبيلة والإتحاد القبلى ، وأن الرياسة إنما تكون لذوى العصبية الضيقة الأقوى ، وأن كل حى أو بطن من القبائل وإن كانوا ذو عصبيه واحدة لنسبهم العام ، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب أخرى هى أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشيرة واحدة أو أصل بيت واحد أو أخوة بنى أب واحد فهم ينفردون بالتعصب لنسبهم ن ويتمسكون بأن تكون الرياسة منهم فيتناقلونها من أب إلى أب داخل عشيرتهم ، ما دامت هى الأقوى فإذا أضعفت انتقلت الرياسة إلى عشيرة أخرى فى القبيلة نفسها أو الإتحاد القبلى ٠

والعصبية بما تنطوى عليه من قوة وغلبة هى أساس الحياة السياسية وقيام الدولة بأن الغلبة التى تهدف إليه العصبية هى الملك ٠ وهذا يعنى أن الملك درجة أعلى من الرياسة لأن الرياسة لصاحب العصبية الذى ليس له اتباع ، أما الملك فهو لصحب للعصبية الذى له اتباع من أصحاب العصبيات الأخرى ٠

ويفسر إبن خلدون أسباب انهيار الدولة كما يلى :

١- إنغماس القبيلة فى الترف ٠

٢- سيطرة ولاة الأعمال على الدولة ثم الإنعزال وتكوين الدولة الجديدة والإستبداد ٠

٣- ظهور طبقة مسيطرة تراعى مصالح السلطان وتتجاهل المصالح العامة ٠

حيث يقول إبن خلدون لا عز للدولة إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ، ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل ، ومن أبرز أنواع العدل من وجهة نظر إبن خلدون العدل الاقتصادى ٠

٨- الاجتماع الاقتصادى :

اهتم إبن خلدون فى مقدمته بعده موضوعات تدخل فى صميم علم الاجتماع الاقتصادى ٠

حيث أعطى للعوامل الإقتصادية الصدارة فى تفسير حال الدول وهو ما عبر عنه فى بدء مقدمتة أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من الغذاء ٠٠٠ فلأبد من إجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ٠ ويعطى إبن خلدون أهمية كبرى للعمل ويرى أن قيمة الشئ تتمثل فيما بذل فيه من عمل " إذا ليس هناك إلا العمل ، فالأعمال هى

القوة الأساسية الكامنة وراء الحركة العمرانية تنشط بنشاطها وتتقلص بتدهورها ٠

كما وضح إبن خلدون مفهوم العمل الإنسانى وقيمته وهو يصنف الأمم وفق طراز الإنتاج بها :

فالمرتبة الأولى يأتى الحضر مع مختلف الصنائع ثم يجئ الزراع المجتمعون فى القرى ، وأخيراً يأتى البدويون ٠

على أية حال فإن اليونانيين والعرب ساهموا مساهمة فعالة فى إثراء الفكر الاجتماعى من خلال قيام بعض لمفكرين فى اليونان والعرب بمناقشة مسألة التنوع الثقافى والحضارى بين الشعوب فى الأزمنة السابقة على عصر النهضة إلا أن اهتماماتهم كانت قاصرة على جمع المادة الإثنوجرافية دون أن يكون هناك أية محاولة جادة وسليمة للتنظير ويجب أن نستثنى من ذلك عبد الرحمن إبن خلدون باعتبار أن مقدمته تتضمن المادة الإثنوجرافية والتنظير معاً ٠ حيث إن الآراء التى عرضها إبن خلدون تشدنا إلى كثير من جوانبها فهى ليست رؤية تراثية بقدر ما هى رؤية تتسم بالدينامية والإستمرارية ٠

الفصل الثالث

أوجست كونت

ولد أوجست كونت فى مونيلييه بفرنسا ١٧٩٨ – ١٨٥٧ ٠ ويعتبر واحداً من رواد علم الاجتماع وهو أول من أدخل مصطلح علم الاجتماع ١٨٣٠ ٠ أهتم أوجست كونت بوضع أسس هذا العلم وموضوعه الذي هو دراسة المجتمعات البشرية ٠

إن تاريخ حياة كونت يلقى ضوءاً كبيراً على اتجاهه الفكري فالمذهب الوضعي الذي يدل على شغفه بالدراسة العلمية وكراهيته للجدل الميتافيزيقى لم يكن غلا نتيجة لدراسته الرياضية فى مدرسة الهندسة الحربية حيث أكسبته تلك الدراسة عقلية علمية لا تخضع إلا لما تثبته المشاهدة والتجربة ٠

كما أن اهتمامه بالسياسة راجع إلى أنه عاصر الآثار المباشرة التى ترتبت على الثورة الفرنسية ، وروعة النتائج الهدامة لهذه الثورة وخاصة ما تعلق منها بالتفكك الاجتماعي والفوضى واضطراب النظام الأخلاقى ، وحالة الفقر المادى والثقافى الذى عانت منه كثير من الجماعات الاجتماعية ٠ وذلك ما جعل كونت يسعى فى الواقع إلى إصلاح المجتمع من الفساد والفوضى خاصة أنه كان يعمل سكرتيراً لسان سيمون الذى اكسب كتاباته الحماس والطابع الإصلاحي ٠

أما عن اهتمامه بالناحية الدينية ورغبته فى تحقيق الوحدة الدينية أو ما أطلق عليه دين الإنسانية فهذا راجع إلى عدة اعتبارات منها انه ولد بجنوب فرنسا ، وورث عن والدته تدينها كما أنه فى عام ١٨٤٤ تعرف

على سيده فى الثلاثين من عمرها تدعى كلوتيلد دوفو كانت على مستوى عال من الجمال والفكر أثرت تأثيراً عميقا فى حياته واتسمت آرائه بطابع جديد جعلتا أشبه أن تكون برسالة دينيه ونظرا لمرضها فلم يستطع كونت إلا أن يكون صديقاً مخلصاً لها وتحولت العلاقة إلى نوع من الامتزاج الفكري ونوع من التقديس ٠ وقد ظهرت هذه العاطفة بشكل واضح بعد وفاتها فى عام ١٨٤٦ حيث احتل الرثاء فى كتاباته مكانا لم يكن يقرره من قبل ووهب حياته بأسرها لعمله ٠

ولقد أدى تأثره بمعبودته إلى أنه كتب إحدى عشر رسالة فلسفية فى ديانه الإنسانية جعلها على هيئة حوار بين إمرأه وبين راهب يمثل الإنسانية ٠

عاش كونت بعد هذه المأساة حياة كلها زهد وتقشف على أن انتابته أزمة حادة فى الخامس من سبتمبر ١٨٥٧ أدت إلى وفاته بين الكثير من اتباعه ٠

ولقد تأثر كونت أيضا بالفلسفة السائدة فى عصره حيث اعتمد على الأفكار المعرفية التى طورها هيوم وكانت فى صياغة تصوره عن العلوم الوضعية ٠ ومما هو جدير بالذكر أن الدائرة المعرفية التى اعتمد عليها كونت فى صياغة تصوراته كانت واسعه إلى حد كبير حيث اشتملت على كل العلوم والمعارف السائدة فى عصره ، حتى انه يمكن القول إن علم الاجتماع الذى دعي إليه أوجست كونت كانت نتاجاً لعمل تركيبي من

الدرجة الأولى حيث ربط بين كتابات أرسطو وفتسكيو وكوندرسيه بطريقه مبدعه ومبتكره ٠ أهتم كونت بإسهامات فلاسفة التاريخ من أمثال فيكو وكانت وهيجل ٠ ووجد فى كتابات كل من آدم سميث وأدم فيرجسون بعض الأفكار الهامة التى تفسر التغيرات التاريخية التى تشهدها النظم الاجتماعية ، وحينما حاول كونت صياغة الجوانب الطقوسية من ديانته الجديدة استعان بأفكار دى ميستر ٠

وبإختصار شديد يمكن القول أن الاتجاه الفكري لأوجست كونت كان اتجاها تركيبيا ٠ كما أن فكرة لم يكن إلا انعكاس لما كان يعانيه المجتمع الفرنسي فى ذلك الوقت ٠ فلقد أخذ على نفسه أن يصلح المجتمع الفرنسي من الفساد والفوضى المترتب على الثورة ٠ فلقد كان الإصلاح غاية حيث يرى كونت أنه لابد من ربط الفلسفة بالحياة ، فإصلاح المجتمع لا يمكن أن يتحقق إلا إذا أصلحت الأخلاق وأن الأخلاق لا تستقيم إلا إذا تحقق الاتفاق بين العقول ، وهذا ما حدث بالفعل بعد الثورة الفرنسية التى أطاحت بالنظام القديم ووجهت النقد الشديد إلى الديانة المسيحية التى عجزت عن متابعة خط العلم فى ذلك الوقت ٠

كذلك لم يكن من المستطاع قهر الناس على العودة على الوراء ، ولهذا رأى كونت انه من العبث البحث عن أسس الأخلاق فى الديانة المسيحية بل لابد من البحث عن أساس آخر لها ٠ وليس هذا الأساس غلا العلم الوضعي ٠ فالاضطرابات الأخلاقية إذن فى نظر كونت ليس مرجعها الأسباب السياسية بقدر ما يرجع على الاضطراب الفعلي ٠ وهو

يرى أن الذين يحاولون إصلاح المجتمع من الناحية السياسية دون بحث عن الاتفاق العقلي والعاطفي بين الناس هؤلاء يخطئون سبيلهم ، فالانسجام العقلي عند الفرد هو الذى يمهد إلى انسجام العقول الأخرى ، ومتى تعدت الفلسفة العلمية أو الوضعية إلى جميع العقول أمكن تحقيق الانسجام الخلقي واصبح من الممكن تحقيق تنظيم المجتمع ٠

المراحل الثلاث للتطور العقلي والاجتماعي :

يرى كونت " أن طبيعتنا الإنسانية تنطوى على ثلاثة جوانب رئيسية ٠ يجب تنظيم العلاقة بينها فى حياتنا الخاصة بصورة مرضية ٠ وتشمل هذه الجوانب مشاعرنا our feelings وتتضمن الدوافع والعواطف التى تكمن خلف النشاط الذى نمارسه ، وأفكارنا our thought وهى تخدم المشاعر ولكنها تعيننا على التحكم فيها ، وأخيراً أفعالنا our Action تلك التى تتم فى ضوء المشاعر والأفكار معا ٠

ومثل هذه الجوانب توجد أيضا بالنسبة لحياتنا الاجتماعية وسلوكنا الاجتماعي مع الآخرين ٠ فاستمرار المجتمع ووجوده ينبغي أن ينهض على أساس تنظيم محدد للنظم والمؤسسات والمعرفة والقيم والمعتقدات ، وهى جميعا مرتبطة بالمشاعر والأفكار والأنشطة التي يمارسها الأفراد وأعضاء المجتمع ذلك أن المجتمع فى نهاية الأمر هو نسق من أنماط السلوك المنظمة والمشتركة بين الأفراد ٠

ويرى كونت أن هناك ثلاثة مراحل للتطور العقلي والاجتماعي :

المرحلة الأولى : المرحلة اللاهوتية أو الخرافية ٠

المرحلة الثانية : المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة ٠
المرحلة الثالث : المرحلة الوضعية أو العلمية ٠

ففي المرحلة اللاهوتية أو الخرافية يقوم الإنسان بتفسير الظواهر والأشياء من خلال السباب الخارقة للعادة والقائمة على التعسف فالظواهر تحدث تأثير إرادة الآلة ٠

فكلمة اللاهوتي تعنى عند كونت خرافي أو خيالي أو أسطوري أما المرحلة الميتافيزيقية كلمة ميتافيزيقية فهي تعنى نوع خاص من تفسير الظواهر التى توقفنا عليها التجارب مثال ذلك فرض أن الأثير هو الذى يفسر الظواهر الضوئية والكهربائية وكذلك فرض الروح فى علم النفس ٠٠٠ الخ ٠ فكونت يرى أن هذه مبادئ ميتافيزيقية أو مجردة ٠

أما المرحلة العلمية أو الوضعية وفيها يتجه الإنسان إلى التخلي تماما عن الافتراضات اللاهوتية والميتافيزيقية فى مقابل تمسك الإنسان تحت تأثير تراكم المعارف والفنون والعلوم والثورة الصناعية بتفسير الظواهر على أساس الملاحظة والتجربة للتوصل على القوانين التى تفسر الارتباط القائم بين الظواهر ٠

وتمثل المراحل الثلاث السابقة قانونا عاما ينطبق على الإنسانية بأكملها ٠

فالمرحلة الأولى يمكن اعتبارها نقطة بدء ضرورية للذكاء الإنساني ٠
والمرحلة الثالثة فهي حالة الإنسان النهائية الثابتة ٠
والمرحلة الثانية فقد قدر لها أن تستخدم فقط لمرحلة انتقال ٠
ويمكن اعتبار المرحلة الأولى بمثابة مرحلة الطفولة
أما الميتافيزيقية يمكن اعتبارها بمثابة مرحلة الشباب والمراهقة ٠
والمرحلة العلمية أو الوضعية يمكن اعتبارها مرحلة الرجولة أو الاكتمال ٠
والمرحلة اللاهوتية تقابل نماذج المجمعات العسكرية
والمرحلة الميتافيزيقية تقابل نماذج المجمعات التشريعية ٠
والمرحلة العلمية الوضعية تقابل نماذج المجمعات الصناعية ٠

٤- العلم الوضعي والفلسفة الوضعية :

يرفض الإنسان فى سعيه نحو المعرفة العلمية والتساؤلات اللاهوتية والميتافيزيقية لأنها تساؤلات يتعذر الاجابه عليها ٠ ويجد الإنسان أنه لا بديل عن العلم الوصفي حيث البحث عن القوانين التى تحكم وقوع الظواهر ، تلك القوانين ما هي إلا عبارات أو قضايا تتعلق بالارتباط بين الوقائع سواء كانت قوانين تتعلق بالارتباط والتساند بين الظواهر كما هو واضح فى العلوم الطبيعية والإنسانية Co-existence التسابق فى الوجود ٠ أو القوانين الخاصة بالتتابع التى تتعلق بالتغيرات التاريخية الملموسة ٠

وعلى أبه حال فإن هذه القوانين لا تصل إطلاقا على حد الكمال أو الشمول أو اليقين الشامل كما يقول كونت وذلك فى العلم الوصفي ،

وكما نقول نحن فغن الكمال لله وحده ٠ حيث يرى كونت أن هناك حدوداً يجب الاعتراف بها وتفسر هذه الحدود فى ضوء حقيقتين :

الأولى : أننا كبشر فإن خبرتنا بالعالم تكون من خلال الحواس ومن خلال موضعنا الخاص فى الطبيعة والمجتمع ٠ فمعرفتنا محكومة بما تمدنا به الحواس ٠

الثانية : انه من خلال عملية التغير الاجتماعي والطابع التراكمي للمعرفة العلمية فإن اليقين المطلق أمر لا يمكن التسليم به إن لم يكن محالا ، حيث أن كل ما نتوصل إليه من معارف خاضع للتطوير والتعديل والنمو ولاختبارات عديدة ٠

ويؤكد كونت على أهمية الفروض فى العلم فإذا كان صحيحا أن كل نظريه يجب أن تعتمد على الوقائع الملاحظة ، فإنه من الصحيح أيضا أن الوقائع لا يمكن ملاحظتها بدون توجيه نظري حيث أن فقدان التوجيه النظري يؤدى إلى عقم وغموض وعدن إدراك للوقائع ٠ ولذا فالتوجيه النظري ضرورة ملحة تسبق البحث الامبريقى ٠

ويصل كونت إلى نتيجة مؤداها أن " من العلم يأتي التنبؤ ، ومن التنبؤ يأتي العمل " وهذا معناه أن أحد المهام الرئيسية للعلم الوضعي أو الروح الوضعية هو التنبؤ بالظواهر ٠ والتنبؤ لا يقتصر على المستقبل بل يتضمن أيضا الحاضر الماضي ٠ حيث ترتكز الروح الوضعية على أساس البحث من أجل التنبؤ وعلى دراسة ما هو قائم من أجل استخلاص ما سيكون ٠

تسلسل العلوم :

يرى كونت أن قانون المراحل الثلاث قانونا عاما لا ينطبق فحسب على العلوم الإنسانية وإنما ينطبق على كافة العلوم سواء كانت إنسانية أو طبيعية فكل علم كان تطوره التاريخي فى ضوء هذا القانون من ناحية وفى ضوء الاعتماد والتساند المتبادل بينه وبين العلوم الأخرى من ناحية أخرى ٠ فكل علم يرتكز على العلم السابق عليه ويمهد الطريق للعلم الذي يأتي بعده ٠

وكان ترتيب كونت لعملية تسلسل العلوم كما يلي :
الرياضة ، الفلك ، الكيمياء ، الفيزياء ، البيولوجيا ، علم الاجتماع وأخيراً علم الأخلاق الذي هو فرع لعلم الاجتماع يحتوى على مزيج من علم النفس وعلم الأخلاق ٠

ويرى كونت أن العلوم لم تظهر بطريقة تحكمية وإنما لكل علم من العلوم ظهر لكي يحقق هدفا معينا وهو تفسير طائفة من الوقائع والتوصل على القوانين التى تتحكم فى هذه الوقائع ٠ كما أن كل علم من العلوم له الحرية فى إختيار وتطوير المناهج التى تلائم موضوعاته ٠ ويرى كونت أن موضوع علم الاجتماع هو دراسة الإنسان والمجتمع وهى من أكثر الدراسات تعقيداً وتشابكاً ٠ وان علم الاجتماع هو المكمل والمتمم لسلسلة العلوم لأنه يغطى النقص الذي عانت منه المعرفة العلمية نظراً لانعدام وجود فيزياء اجتماعيه ٠ فعلم الاجتماع هو العلم الذي يمهد إلى تعميم

التفكير العلمي والتحرر نهائيا من التفكير اللاهوتي والميتافيزيقى وغلى تقرير أسس السياسة والدين وهو لهذا يعد تاجاً لجميع العلوم ٠

علم الاجتماع :

ذكرنا فيما سبق أن أوجست كونت هو أول من وضع مصطلح علم الاجتماع وقد اضطر على هذه التسمية لأنه كان ينوى تسمية علمة الجديد باسم الفيزياء الاجتماعية وعدل عن هذه التسمية بعد أن سبقة إليها العالم البلجيكي أدولف كتيلية ٠

ولقد أدرك كونت أهمية علم الاجتماع حيث كتب يقول " انه لدينا الآن فيزياء سماوية وفيزياء أرضية ميكانيكية وفيزياء نباتية ، وفيزياء حيوانية ومازلنا بحاجة إلى نوع آخر من الفيزياء وهى الفيزياء الاجتماعية ذلك العلم الذي يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعاً لدراسته بإعتبار أن هذه الظواهر من نفس روح الظواهر الفلكية والطبيعية والكيميائية والفسيولوجية من حيث كونها خاضعة للقوانين الطبيعية الثابتة " ٠

حيث يرى كونت أن العلوم الأخرى وحتى علم الحياة لا يمكنها البحث فى قوانين المجتمع الإنساني أي تلك القوانين التى تفسر الارتباط بين الوقائع الاجتماعية ، حقيقة أن موضوع دراسة تلك العلوم تؤثر فى الإنسان والمجتمع حيث أن البيولوجيا يدرس الإنسان بوصفة حيوانا إلا أنها تتجاهل النظم المركبة والتقاليد التى كونها الإنسان فى حياته الاجتماعية ، فالشيء الرئيسي الذي يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات

الأخرى هو تطور وقائع حياته التاريخية ، فالمجتمع الإنساني ما هو إلا عملية متراكمة من النظم والمعرفة والمهارات والتقاليد والقيم والمعتقدات ولا تستطيع البيولوجيا أو أي علم آخر أن يدرس هذه الظواهر ولذا فمن الضروري قيام علم جديد لدراسة تلك الظواهر الاجتماعية الجديدة التى يتعذر على كافة العلوم الأخرى دراستها ٠

فموضوع علم الاجتماع هو دراسة النظام الاجتماعي ، ومدى تنوع النظم الاجتماعية فى العالم ، والمجتمع هو نسق يتألف من أجزاء متساندة ، وهو شئ يفوق الأفراد ، ومن ثم يحتاج على دراسة خاصة ، فالأفراد لا يمكن فهمهم إلا فى سياق المجتمع الذي يعيشون فيه ٠

وحيث أن علم الاجتماع علما وضعيا للظواهر الاجتماعية فإنه يستخدم عديداً من المناهج كالملاحظة والتجريب والمنهج التاريخي والمنهج المقارن ٠

وينقسم علم الاجتماع على قسمين رئيسيين :

علم الاجتماع الاسكاتيكى وعلم الاجتماع الديناميكي ٠

أما عن علم الاجتماع الاستاتيكى فهو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة المجتمعات الإنسانية فى حالة استقرارها ، كذلك يهتم بدراسة الانسجام والتوازن بين ظروف وجود الإنسان فى المجتمع وهذا يقتضي دراسة النظام العام أو البناء الاجتماعي حيث التركيز على الكل ، فالأجزاء يمكن فهمها فى ضوء العلاقة المتبادلة بينها وبين الكل ٠

أمـا علـم الاجتمـاع الـديناميكي فهـو العلـم الـذي يهـتم بدراسـة المجتمعات الإنسانية فى حالة حركتها الاجتماعية والمراحل التى تخطوها الإنسانية فى تطورها ٠

وعلـى الـرغم مـن أن كونـت لـم يفصـل بـين الدراسـة الاسـتاتيكية والدراسـة الديناميكيـة غـلا أنـه أعطـى عنايـة خاصـة بعلـم الاجتمـاع الديناميكي ٠ والاستاتيكا إذا كانت دراسة تحليلية فإن الدنياميكا هي دراسة تجريبية أمبريقية ٠

الفصل الرابع

علاقة علم الاجتماع بالأنثروبولوجيا

تتناول الأنثروبولوجيا بالدراسة والتحليل للقضايا المتصلة بالإنسان من حيث هو كائن عضوي له تكوينه الفيزيقي المميز ووظائفه الحياتية المتعددة ٠ كما يختص ببحث التراث الاجتماعى والثقافي لكل المجتمعات البشرية فى الماضي بالإضافة على المشكلات البشرية المعاصره ٠ ولهذا السبب لقب هذا الفرع من العلوم " بعلم الإنسان " وتعود تلك التسمية إلى الطابع الشمولى التكاملى فى الدراسات الأنثروبولوجية التى ترتبط بكثير من المعارف الأخرى ، وتشتمل على كثير من الطرق والأساليب المبتكرة فى الكشف عن الآثار والبقايا والمخلفات ، ومن بين هذه الأساليب ما ينتمى إلى العلوم الطبيعية والكيمياء العضوية أو علوم الحياة والفسيولوجيا والجيولوجيا علاوة على العلاقات الضرورية بين فروع علم الإنسان العام وبين علوم الاجتماع والنفس والتاريخ والجغرافيا والاقتصادية والسياسية وغيرها وكان تطورها مرتبط بتطور هذه العلوم وتاريخ تقدمها ٠ فعلى سبيل المثال لم يكن من الممكن معرفة ثقافات ما قبل التاريخ والتى أصبحت الآن فرعا من علم الإنسان الثقافي ويتم دراستها بصورة مستقله فى بعض الجامعات إلا بعد وصول علم الجيولوجيا إلى حقائق تتصل بالتاريخ الزمني ، ووسائل علمية وفنية تكشف عن الآثار المادية والأدوات القديمة جداً ومعرفة مراحل تعاقبها خلال الزمن وقد تم وضع تلك الحقائق فى شكل جداول زمنية يتصل فيها التكوين الجيولوجي ببقايا الإنسان من العظام والمشيرات المتباينة المستويات ، وجوانب النشاط الاجتماعى

وأشكال النظم والمتوارثات الاجتماعية والثقافية فضلا عن الوقوف على ألوان من المعرفة والفنون والأفكار والتصورات العقلية والمزاجية والسلوكية للشعوب فى الماضي البعيد والقريب وفى الحاضر كذلك ٠

ومن هنا وجب توضيح العلاقة بين علم الإنسان وكافة فروع العلوم الاجتماعية الأخرى وسنقتصر هنا على العلاقة بين " علم الإنسان وعلم الاجتماع ٠"

– لقد كان السير جيمس فريزر أول من ميز بين علم الاجتماع بإعتباره دراسة المجتمعات الإنسانية وبين علم الإنسان الاجتماعى باعتباره انه يدرس الأشكال الأولية البسيطة للمجتمعات الإنسانية وفى المراحل الأولية من تطورها ٠

والأنثروبولوجيا هى الأخت الشقيقة لعلم الاجتماع فهما يشتركان فى الكثير من مجالات الدراسة ومن ناحية الموضوع والمنهج بالرغم من التمييز التحصيلى بينهما فعلم الاجتماع يهتم بدراسة وتفسير العلاقات الاجتماعية فى كثير من الجماعات الصغرى والكبرى والأولية والثانوية وعلى مستوى المجتمعات المحلية وغيرها ، وأن مثل هذه العلاقات المتعددة والتي تشتق أساساً من الممارسات وأساليب التصرف المتكررة ينتمي بعضها إلى المجال السوسيولوجى مثل علاقات الزواج والروابط العائلية ، والبعض الآخر ينتمي إلى الإطار الاجتماعي العام السياسي والاقتصادي ممثلا فى علاقة الحكام بالمحكومين ، والبائع بالمشترى وهى

علاقات لا تخلو أبداً من المحتوى الثقافى أيضاً ، وتكتسب جميع هذه العلاقات مدلولا تكامليا فى سياق دراسات علم الإنسان التى تتناول المجتمع ككيان واحد أو كوحدة لا تقبل الانقسام ٠ ويعد ذلك أحد السباب التى أدت إلى تمركز دراسات علم الإنسان فى المجتمعات البسيطة والجماعات المحلية والصغيرة حتى يتسنى الباحث الحقلي الإحاطة بمعظم الظواهر والنظم ٠

وعلى الرغم من أن علم الاجتماع يهتم فى دراساته باتجاهه نحو الحاضر والمستقبل وان علم الإنسان يتجه نحو الماضي فقط إلا أن دراسات علم الإنسان الحديثة مالت إلى دراسة كافة أشكال المجتمعات البدوية والريفية والحضرية والصناعية بجانب الأبحاث الخاصة بدراسات ما قبل التاريخ وتطور نماذج الإنسان الحضري ٠

ومع ذلك فهناك أختلاف فى العلميين ويمكن عرضهما كما يلي :

١ – الاختلافات فى كيفية تناول مجتمع الدراسة :

إن عالم الاجتماع ينظر على المجتمع بطريقة تجزيئية حيث يقوم بعزل الظواهر الاجتماعية والمشكلات الاجتماعية ودراستها بصورة منفصلة أو قائمة بذاتها أو بعيداً عن سياقها العام كدراسته للطلاق أو الجريمة ٠٠٠ الخ هذا فضلاً عن أن علم الاجتماع يمتزج بالفلسفة الاجتماعية من ناحية والتخطيط الاجتماعى من ناحية أخرى ٠

أما الباحث الأنثروبولوجي فانه يدرس المجتمع أو الثقافة ككل ولذا وجب هنا أن نفرق بين مدرستين هما :

أ – المدرسة الإنجليزية :

ترتكز هذه المدرسة على البناء الاجتماعى ويعتبر البناء الاجتماعى جزء من كيان الباحث وان كيان الباحث جزء من البناء الاجتماعى ٠ حيث يتخذ الباحث من البناء الاجتماعى بأنساقة المتعددة ونظمه المتباينة وظواهره المتكاملة نقطة البداية والنهاية ، حيث يدرس الباحث البيئة العامة الايكولوجيا ونظمها الاقتصادية والسياسية والاقتصادية ، كما يدرس العائلة وتنظيم القرابة والدين والتكنولوجيا والفنون وغيرها على أنها أجزاء فى نسق عام ٠

ب – المدرسة الأمريكية :

حيث ترتكز هذه المدرسة على ثقافة المجتمع وليس البناء الاجتماعى فالثقافة هى نقطة البداية والنهاية والباحث فى الانثروبولوجيا أو علم الإنسان يدرس الثقافة ببعديها المادي واللامادي والثقافة هى ذلك الكل المركب الذى يتكون من المعرفة والفنون والعادات والتقاليد والأفكار والتكنولوجيا وغيرها من الحاجات التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا فى المجتمع ٠

والباحث هنا يتخذ من الثقافة وسيلة لفهم الظواهر الموجودة فى المجتمع وتفسير مدى تباين وإمتزاج ثقافة المجتمع مع ثقافة المجتمعات الأخرى ، وما هى السمات الثقافية الموجودة فى المجتمع ؟ وكيف يمكن

أن يفسر الباحث من خلال الثقافة تطور النظم الاجتماعية الأخرى وتساندها وإتساقها ؟

٢ – الاختلاف فى طرق ومناهج والأدوات المستخدمة فى الدراسة :

يقول ايفانز بريتشارد أن الفوارق بين علم الاجتماع وعلم الإنسان ليست فوارق فى مجال الدراسة فحسب ولكن توجد إلى جانب ذلك اختلافات أخرى هامة فى المنهج نفسه فبينما يعتمد الباحث فى علم الاجتماع على الوثائق والإحصائيات فإن إهتمام الأنثروبولوجي بالإحصائيات محدود ٠ كما أن الباحث فى علم الاجتماع ليس فى حاجة إلى عديد من الوسائل والأدوات التى تمكنه من دراسة ظاهرة واحدة أو نسق واحد فهو يختار وسيلة واحدة أو أداة واحده هى استمارة المقابلة أو الأساليب السسيومتريه أو المقابلات الجماعية أو صحيفة الاستبيان ٠ أما الباحث فى علم الإنسان أو الانثروبولوجيا حيث يتخذ أما البناء الاجتماعى أو الثقافة نقطة البداية والنهاية فانه لا يستطيع التحكم فى هذا البناء الاجتماعى أو هذه الثقافة باستخدام وسيله واحده بل انه يدرس البناء الاجتماعى للمجتمع أو ثقافته دراسة مباشرة عن طريق الملاحظة والمعايشة والمشاركة فى النشاط والممارسات ٠ ويستخدم دليل الملاحظة كذلك يستخدم الاخباريون وهم كبار السن فى مجتمع الدراسة الذين عاصروا الأحداث والوقائع ويتميزون بالصدق والثقة ، كذلك يستخدم ما يسمى بالطريقة الجينالوجية والتى يستطيع الباحث من خلالها عند دراسته لبناء القوة فى المجتمع أن يرسم شجرة عائله العمدة مثلا وهل العمدة خرج

من شجرة كلها من أصول عمديه أم أن هناك عائله واحدة هى التى تحتكر منصب العمدية ٠

٣ – الاختلاف فى الفترة الزمنية اللازمة للدراسة :

وحيث أن الباحث فى علم الإنسان يقوم بدراسة المجتمع وبناؤه أو ثقافته دراسة تكاملية فهو فى حاجة على عديد من الطرق وأدوات البحث ومن هنا فهو فى حاجه على فتره زمنية طويلة تبدأ بسنه وتنتهي ببضع سنوات ٠

أما الباحث فى علم الاجتماع فهو ليس فى حاجة على فترة زمنية طويلة وأن مدة دراسته قد تبدأ بشهر وتنتهي بعد ستة شهور على أقصى تقدير ٠

تاريخ مصطلح علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا :

١-يقول هادون أنه تم استخدام مصطلح علم الإنسان لأول مرة في الحضارتين الرومانية والأفريقية وكأن يقصد به أرسطو الشخص الذي يتحدث إلى نفسه ٠

أ- الفيلسوف هاندت كأن له عنوان كتاب يحمل هذا الاسم ١٥٠١ اهتم فيه بخصائص الجسم التشريحية وهيكله العظمى ٠

ب- في عام ١٥٣٣ كأن عنوان كتاب للمفكر كابلا تكلم فيه عن صفات الإنسان الفردية ٠

د- في عام ١٥٩٣ ظهر هذا المصطلح في بريطانيا وكان يقصد به دراسة الإنسان من جميع جوانبه الطبيعية والسيكولوجية والاجتماعية ٠

هـ- ١٦٥٥ ظهر كتاب بعنوان علم الإنسان المشخص أو المجرد غير معروف مؤلفه تناول دراسة الطبيعة البشرية وانقسمت موضوعاته إلى قسمين أحدهما خاص بعلم النفس والأخر خاص بعلم التشريح ومنذ ذلك التاريخ اخذ ينتشر المفهوم تدريجيا حتى اصبح له تحديدا واضحا ٠

ومن هنا أنطلق الباحثون في دراسة المجتمع لإنساني بالتركيز علي الإنسان في كل مكان ٠٠ وفي حين لا يزال الالتباس قائما لدى الكثيرين إلا أن الرؤية واضحة لدى الأنثروبولوجيين فهم يعرفون كيف يبدأون ٠٠ دراساتهم وما هي المناهج المناسبة التي يستخدمونها ٠ وما هي الموضوعات التي يمكن أن يولوها عنايتهم واهتماماتهم أنهم والتي يرون أنها تفتح الآفاق أمامهم للدراسة والبحث العلمي الجاد ٠ ولم تعد الأنثروبولوجيا ذلك المفهوم السائد لدى

البعض- خاصة بدراسة المجتمعات البدائية- أو بدراسة وحدات اجتماعية محددة ٠ أو ينحصر اهتمامها بالوصف أو المقارنة وحدها بل تجاوزت ذلك إلى ما هو اشمل وأعم

فأصبحت اليوم تشمل المدينة والقرية جنبا إلى جنب ٠ ولم ينشأ ذلك من فراغ أو بمحض الصدفة وإنما اعتمد علي أساس منطقي ومنهجي ظل الرواد في هذا الميدان يسعون لتطوير وتوسيع دائرته بما يتناسب مع طموحاتهم التي تنحصر في خدمة قضايا ومشكلات الإنسانية عن طريق معرفة الارتباط والتداخل بين قضايا المجتمع وظواهره ثم تقديم صورة كاملة عن هذا وذاك ثم تقديم الآراء والمقترحات التي يمكن أن تسهم بفعالية في علاج المشكلات الاجتماعية ورسم السياسة الاجتماعية المثلى ٠

<u>ما هي فروع علم الإنسان (الأنثروبولوجيا)</u>

هناك ثلاثة فروع رئيسية لعلم الإنسان يمكن التعرف عليها من خلال كيفية أو طريقة النظرة إلى الإنسان هل هو كائن اجتماعي هل هو كائن ثقافي هل هو كائن طبيعي نعم هو كل ما سبق الإنسان كائن اجتماعي فهو لا يستطيع العيش دون حياة اجتماعية هذه النظرة أدت إلى ظهور ذلك الإنسان الاجتماعي ٠

والإنسان كائن ثقافي فهو حامل للثقافة وناقل لها عبر الاجيال والثقافة كما عرفها تايلور هي ذلك الكل المركب الذي يتكون من العادات والتقاليد والأعراف وكل ما اكتسبه الإنسان بوصفة

عضوا في المجتمع ، ساعد ذلك علي ظهور علم الإنسان الثقافي والإنسان أخيرا كائن طبيعي مخلوق من ضمن مخلوقات الله هذه النظرة ساعدت علي ظهور علم الإنسان الطبيعي ٠

فعلم الإنسان طبقا لذلك هو الدراسة العلمية للإنسان من الناحية الاجتماعية والثقافية والطبيعية ٠

إلا أن تزايد البحث في علم الإنسان وكأن مجاله الأول في المجتمعات البدائية أدى إلى تطورات هامة في النظرة إلى علم الإنسان وخاصة في علاقته بالأنثروبولوجيا والاثنوجرافيا وعلم الآثار واللغويات وغيرها من الدراسات التي تتصل بدراسة الإنسان ٠

وقد تفرع علم الإنسان إلى عديد من الفروع لمقابلة التطور الذي حدث في دراسة الإنسان والمجتمع حيث ظهر بالإضافة إلى الفروع الثلاثة السابقة علم الإنسان اللغوي وعلم الإنسان الوظيفي وعلم الإنسان التطبيقي وعلم الإنسان السلالى وعلم الإنسان الاقتصادي وعلم الإنسان الطبي ٠

وسوف نركز في دراستنا علي علم الإنسان الاجتماعي ويعتبر هذا العلم هو أحد فروع علم الإنسان العام وهو يهتم بدراسة الإنسان باعتباره عضوا في جماعة إنسانية وأنه اجتماعي بطبعة لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن الآخرين إلا في حالات

المرض النفسي الخطير أو المرض العقلي ٠ ويقول ايفانز بريتشارد أن كلمه علم الإنسان الاجتماعي تستخدم في إنجلترا وأمريكا بمعنى دراسة الإنسان من عدة نواحي مختلفة ٠ حيث يميل بعض العلماء في أمريكا إلى تسمية علم الإنسان الاجتماعي بعلم الإنسان الثقافي أو الحضاري ٠ إلا أن الواقع يؤكد أن هناك فروق في مجال هذين العلمين فعلم الإنسان الاجتماعي يهتم بالبناء الاجتماعي لكل مجتمع علي حدة وقد يلجأ للمقارنة بين نسق أو اكثر من أنساق البناء الاجتماعي في مجتمعات من مستوى حضاري واحد ٠ أما علم الإنسان الثقافي فهو يدرس الثقافة في مجموعها ويهتم علي الخصوص بالوسائل التكنولوجية والفنون والمعارف والأفكار والمعايير والعادات والتقاليد ٠

الأسرة كموضوع يتناوله الباحث في علم الإنسان الاجتماعي حيث يدرس الأسرة بوصفها أحد الأنساق التي يتكون البناء وهو هنا يتناول تكوين الأسرة وتنوع العلاقات بين أفرادها كعلاقة الزوج بالزوجة وعلاقة الوالدين بالاخوة ٠٠ الخ كما يهتم بتحديد الفئات التي يحرم بينها الزواج ، وكذلك بمعرفة ما للتنظيم العائلي من علاقة مثلا بالتنظيم الديني أو السياسي

٠٠ الخ فعلم الإنسان الاجتماعي يهتم بالعلاقات الاجتماعية التي تعتبر جزءا من البناء الاجتماعي ٠

أما الباحث في علم الإنسان الثقافي فأنه يدرس الأسرة عاداتها وتقاليدها حيث هي جزء من الثقافة الإنسانية ويدرس تطورها في المجتمعات كما يهتم بدراسة المعايير السلوكية في الأسرة ومقارنتها بمثيلاتها في المجتمعات الأخرى ٠

علم الإنسان اللغوي فرع هام من علم الإنسان الثقافي يهتم بدراسة اللغة باعتبارها الوسيلة الوحيدة للاتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان ٠ كما أنها أداة نقل الأفكار أو التعبير عنها بكلمات أو إشارات أو رموز أو صور أو أشكال أو غيرها حيث البحث في أصول اللغات وأشكالها الرمزية ودراسة اللهجات المحلية وعلاقتها باللغة ألام ٠

<u>ما هي العلاقة بين الأنثروبولوجي وعلم الإنسان الثقافي ؟</u>

الأنثروبولوجيا أيضا فرع من علم الإنسان الثقافي وتنحصر مهمتها في تصنيف الشعوب علي أساس خصائصها ومميزاتها السلالية والثقافية وتفسير توزعها في الوقت الحاضر أو الماضي كنتيجة لتحرك هذه الشعوب واختلاطها وأنتشار الثقافات ٠

<u>ما هو الفرق بين الاثنوجرافيا والاثنولوجيا ؟</u>

الاثنوجرافيا هي الدراسة التسجيلية للشعوب دون تحليل لهذه الثقافة أو عقد المقارنة بينها وبين الشعوب الأخرى ٠

والاثنوبولوجيا تهدف إلى عقد المقارنة بين الثقافات حتى تستطيع التوصل إلى قوانين تحكم السلوك الإنساني ٠

<u>ما هو علم الإنسان الطبيعي ؟</u>

هو فرع من البيولوجيا البشرية يهتم بدراسة أمور معينه كالوراثة والتغذية والاختلافات بين الجنسين والتشريح المقارن وفسيولوجيا السلالات البشرية ونظرية التطور البشرى ويقول الدكتور احمد أبو زيد أنه علي الرغم من أن المختصين في علم الإنسان الاجتماعي يدرسون في العادة مبادئ علم الإنسان الطبيعي للإحاطة بكل فروع علم الإنسان فهذا لا يعنى اطلاقا وجود علاقة ضرورية بينهما كما يزعم بعض الكتاب العرب ٠

<u>ما هو تعريف علم الإنسان الاجتماعي ؟</u>

يعرف علم الإنسان الاجتماعي بصفة عامه بأنه الدراسة التكاملية المقارنة القائمة علي ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي ٠

فهو دراسة تكاملية لأنه يتبنى المنهج الكلى الذي يسعى لإدراك الإطار الاجتماعي الذي توجد فيه الظاهرة والإحاطة بالعوامل التي تؤثر وتتأثر بها ٠

وهـو دراسـة مقارنـة بمعنـى أنـه يـدرس النظـام القرابـى أو الاقتصادي في مجتمع معين ثم نقارن بين هذا النظام ونظيره في مجتمع أخر بقصد الوقوف علي مظاهر التشابه وجوانب التباين وبالتالي الوصول إلى المبادئ العامة أو القوانين التي تحكم هذه الظاهرة وتتم المقارنة بين مستويات مختلفة من المجتمعات البسيطة والبدائية والريفية والحضرية المعقدة ٠

ويعتمد علم الإنسان الاجتماعي علي الملاحظة لأن الباحث يستمد مادته من الواقع الذي يدرسه بنفسه ويعايشه ويستخدم اللغة السائدة مع أبنائه في التخاطب فإذا كأن يجهلها فأنه يتعلمها مثلما فعل بروتسلا مالينوفسكى ٠ (١)

وعرف رادكليف براون مجال دراسة علم الإنسان الاجتماعى في تعريف جامع مانع بقولة :

" يمكننا أن نعرف علم الإنسان الاجتماعي بأنه دراسة طبيعة المجتمع إلانساني دراسة منهجية تعتمد علي مقارنة الأشكال المختلفة للمجتمعات الإنسانية بالتركيز علي الأشكال الأولية للمجتمع البدائي ٠

ولكننا بازاء هذا النص ينبغي أن نكون علي حذر من الانزلاق والوقوع في بعض الأخطاء آلتي شاعت حول مفهوم كلمة البدائي فالمجتمع البدائي ليس بدائيا بالمعنى التاريخي للكلمة

و حيث أن النظم البدائية لا تمثل المراحل الأولية للنظم الإنسانية فلا ينبغي إطلاقا أن نقارن الإنسان البدائي الحالي بذلك الإنسان الحضري الذي عاش وأنقرض منذ فجر التاريخ حيث أن البدائي لا يماثل تلك الكائنات الإنسانية آلتي تخطت الحالة الحيوانية الصرفه ولعل هذا المفهوم الخاطئ ٠

قد صدر أصلا عن تلك المذاهب الدارونية والتيارات التطورية التي التحمت بالدراسات الأنثروبولوجية التى استخدمت المناهج التطورية القديمة التي كانت تقارن بين الثقافة البدائية السائدة في المجتمعات الأفريقية والأسترالية وبين الثقافة أو الحضارة الحديثة السائدة في مجتمعات اوربا وامريكا ٠

ومن هنا كأن علماء الأنثروبولوجيا التطورية القديمة يقارنون بين نوع الثقافة أو العقلية البدائية وبين نوع الثقافة الاوربية فنظروا إلى الثقافة البدائية علي أنها اشكال اثرية لثقافة الإنسان الحضرى ٠ ودرسوا المجتمعات البدائية علي أنها متاحف تكشف عن كائنات حفرية حية وهذه نظرية خاطئة حيث أن الإنسان البدائى إنما هو إنسان بدائى نسبيا كما أن اقل حالات البدائية واكثرها بساطه في عصرنا الحالي ٠ إنما تعد مرتبه عالية من التطور والتقدم إذ ما قورنت بحالة الإنسان الحضرى القديم ٠ كما يوجد لبعض المجتمعات البدائية تاريخها

الطويل وثقافتها المعقدة تلك التي تمتد إلى آلاف السنين وبذلك أكدت الأدلة التي تؤيد فكرة أن الأجناس البدائية والحالية إنما بلغت ما بلغته في ثقافتها وأسلوب حياتها بعد تطور بطئ شاق استمر طويلا فالحالة البدائية ليست بالحالة القديمة ولكنها حالة بدائية نسبيا إذا ما قورنت بحالة الإنسان في المجتمع الحديث ٠

وجملة القول ٠٠ لقد صدرت العلوم الأنثروبولوجية اجتماعية كانت أم فيزيقية أم ثقافية لدراسة الإنسان ككائن اجتماعى او حضارى فتدرس هذه العلوم الأنثروبولوجية بكافة مجالاتها وميادينها الخاصة أشكال الثقافة وأبنية المجتمعات بالتركيز علي دراسة أشكال المجتمعات الأولية ومعالجة ما يسمى بأنماط الثقافة البدائية ٠

والإنسان كما بعرفة أرسطو حيوان اجتماعى حيث أنه يعيش في مجتمع يكتسب منه سمات ثقافية تلك التي تتركز حول ادواتة وافكاره ومن المجتمع يستمد الإنسان تصوراته ومشاعره التى تتصل بأنماط افعاله وأشكال سلوكه الاجتماعى كما يولد الإنسان في نواة اجتماعية اوليه هى ألا سره حيث يلقن خلال حياته ألا سريه ومنذ طفولته المبكرة مختلف أساليب الفكر والعمل ٠

وليس من شك في أن ألا سره كنواه أولية هى اساس المجتمع من حيث وظائفها الاجتماعية والثقافية حيث أنها تكفل للإنسان رعاية وحماية ٠ تتاح فيها للطفل الصغير فرصة النضج العقلى والسيكولوجى والنموالاجتماعى فتترقى لغته وتثرى كما تتسع حدود علاقاته الاجتماعية بانتقاله من مجتمع الاسرة الضيق كى يلتحم بالعالم باحتكاكه المباشر بالآخرين ومن هنا يدرك الإنسان علي نحو موضوعى ما وراء حدود أسرته أو قبيلته أو قريته ٠ وقد تمتد علاقاته كى تشمل ما وراء حدود أوطانه وقومياته كى يتعرف علي الثقافات الزاخرة في مجتمعه البشرى بأسره ٠

وفي نطاق المجتمعات الإنسانية التي يزخر بها الجنس البشرى نشاهد اطارا إنسانيا فريدا ونرى نسقا بشريا فذا يجمع الكثير من أشكال البشر والعديد من ألوان الثقافة حيث تتدرج هذه الأشكال البشرية وتتوحد هذه الثقافات الإنسانية كى تتحقق برمتها في وحدة تؤلف بين ما تتنافر منها وتتباعد تلك هى وحدة الجنس البشرى ٠

ومن خلال هذا الاطار الكبير الذي يشتمل علي مجتمعات بنى الإنسان تجد عددا من المجتمعات الصغيرة والمحدودة نسبيا

والمتـأخرة اقتصـاديا يسـميها الأنثروبولوجيـون الاجتمـاعيون بالمجتمعات البدائية ٠

ولعل دراسـة هذه المجتمعات البدائيـة هـى الموضـوع الرئيسـى الذي يضطلع بدراسته علم الأنثروبولوجيا الاجتماعيـة الذي هو الدراسة السوسيولوجية للأشكال البدائيـة كما أنـه أيضا المجال الحيوي لسائر العلوم الأنثروبولوجية برمتها حيث تدرس مختلف فـروع الأنثروبولوجيـا العامـة كيفيـة تكيـف الإنسـان البـدائي بمختلف البيئات الفيزيقية و الجغرافية والاجتماعية والثقافية ٠

<u>اولا — المدرسة النشوئية :</u>

اهتم العلمـاء منـذ منتصـف القـرن التاسـع عشـر بدراسـة الحضـارات وتطورهـا وقـد شـجع علـى ذلـك زيـادة المعرفـة عـن المجتمعات البدائية وتقدم الكشوف والدراسات الاثرية عن طريق الرحالـة والمبشـرين وهنـاك عامـل هـام الاوهـو التسـاؤلات التـى فرضـت نفسـها ان ذاك عـن تحديـد العلاقـة بـين حضـارة المجتمعات البدائيـة وبين الحضارات المتقدمـة ولقد ظهرت فـى قالـب جديـد فـى كتابـات وسـترمارك وهـوب هـاوس وتقـوم هـذه المدرسة على الاسس التالية :

ا- نـادى ا صـحاب هـذه النظريـة بوحـدة الـنفس البشـرية ا ن الانسـان ذا عقـل واحـد ونفـس واحـدة وانـه اذا مـا واجـه ظروفـا

متشابهة او قامت فى نفسة حاجات متشابهة فلا سبب يمنع من توصلة الى اختراعات متشابهة فى اماكن وظروف مختلفة

٢- الانسان الاول صنع ادواته واسلحته من الحجر فى كل مكان حيث قد احتاج لتلك الادوات وبنفس الطريقه استطاع ان يكتشف النار وان يصنع القوارب ٠

ومن اوجة النقد لهذة المدرسة :

-يقول بريتشارد ان هذا الاتجاه يهدف الى الكشف عن اصول الاشياء اصل الاتواع واصل الدين واصل القانون وما الى ذلك وكلها مجهودات ملحة كانت تهدف دائما الى تفسير الشىء القريب بالشىء البعيد ٠

- انه لايمكن فهم اى نظام من النظم بارجاع هذا النظام الى اصولة فمعرفة تاريخ النظام لابمكن فى حد ذاتها ان توضح لنا وظيفة هذا النظام فى الحياة الاجتماعية ٠

ان هذا الاتجاه لم يقدم لنا تاريخا نقديا وهو لايعد الا مجرد تخمينات سهله لاتخلو من الطرافة فهو يقوم اصلا على التاريخ الظنى ٠

<u>ثانيا — المدرسة التطورية :</u>

يعد كتاب اصل الانواع لتشارلز دارون والذى نشرة عام ١٨٥٨ م وعلى الرغم من ان نظريته كانت فى اطار مبادىء علم الطبيعة والاحياء والشريح هو الذى دفع غالبية المفكرين الاجتماعيين خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر الى تطبيق فكر دارون عن التطور الحيوى على الانسان والمجتمعات البشرية ومن هؤلاء العلماء سبنسر ومورجان وريفرز وتايلور وجيمس فريزر وتقوم نظريتهم على ما يلى :

١- ان العناصر المركبة فى الحضارة تتطور من البسيطة والمتنافرة الى المركبة و المتناسقة ٠

٢- ان الحضارة الانسانية تمر بمراحل متتابعة ٠

٣- هناك ما يسمى بالمبدأ الخطى هو يفترض وجود خط موحد تجنازه كل المجتمعات ٠ وهناك ايضا مبدأ التوازن وهو يفترض ان كل المجتمعات حتى فى حالة انعزال بعضها عن البعض الاخر لابد ان خط سير حضارتها يكون متوازيا مع خطوط الحضارات الاخرى ٠

٤- لجأ التطوريون الى علم الاثار لتفسير نظرياتهم ٠

٥- نادى التطوريون بالبقايا أو الدلائل وهى عادات بطل اثرها فى المجتمعات البدائية (مثال سلطة الخال فى المجتمعات

الاموية — نظام التطورات التضعيفية فى القرابة وهى اسم اب على كل رجل فى سن ابيه) ٠

٦- نادى التطوريون بضرورة التخلص من التأملات الفلسفية

٠٧ -ركزت هذه النظرية على دراسة تطور العائلة وتطور الدين ٠

<u>فضل المدرسة التطورية :</u>

١- أثارت نتائجها الخاطئة رغبة الكثيرون لتصحيحها ٠

٢- كانوا اول من استخدموا مبدأ الحضارة مسقلا عن الجنس ووجود علم الحضارة ٠

٣- ادخلوا طرقا منظمة فى دراستهم للحضارة ٠ -

<u>واهم الانتقادات التى وجهت اليها ما يلى :</u>

١- استندت المدرسة التطورية الى الحدث والتخمين والاعتماد على مادة يشوبها التحيز وعدم الدقة ٠

٢- الالتجاء الى التعميم المطلق لكل الثقافات فى الزمان والمكان بدون تقديم الدلائل والقرائن التى تثبت صحة فروض النظرية التطورية ٠

٣- هناك هجوم على النتائج والدراسات التى توصل اليها علماء هذه المدرسة وعدم صدقها مثل نظريتهم فى نظام الاسرة والزواج لانه لم يكن موجودا فى المجتمعات البدائية ٠

٤- اختلاف اصحاب النظرية مع بعضهم فيما وصلوا اليه من نتائج .

٥- لم تكن دراستهم على اساس علمى تجريبى او دراسات ميدانية ، وانما اقتصرت على جمع البيانات عن طريق المراسلة .

٦- كان رواد هذه المدرسة متخصصون فى الاصل فى علوم غير انثروبولوجية .

ونتيجة اهذا النقد قلت اهميتها تدريجيا وحل محلها محاولات جديدة للنظر الى الثقافات الانسانية وتفسير التباين بينهما .

ثالثا - المدرسة الانتشارية :

تقوم هذه المدرسة على افتراض مؤداه ان عملية انتشار السمات الحضارية بين الشعوب ربما تكون قد بدأت من مركز حضارى محدد ثم انتقلت عبر الزمان الى اجزاء العالم المختلفة من خلال الاتصال بين الشعوب وقد ظهر فى اوربا مدرستان او نظريتان مختلفتان بصدد هذا التضمير :الاولى فى انجلترا ويتزعمها البوت سميث عالم التشريح البريطانى والذى كان استاذا فى كلية الطب المصرية فى أوائل القرن العشرين وقد خرج هو وتلميذه وليم بيرى بنظرية مؤداها " ان الحضارة

الانسانية نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل فى مصر القديمة منذ حوالى خمسة الاف سنه قبل الميلاد ولقد انتقلت مظاهر تلك الحضارة الى بقية انحاء العالم ٠

الثانية فى المانيا والنمسا حيث رفض فريقا من الباحثين —وعلى رأسهم دايزدارز ووليم شميث — فكرة المنشأ الواح للحضارة وافترضوا وجود عدة مراكز حضارية اساسيةفى جهات متفرقة من العالم الا ان اصحاب هذا الرأى لم يقدموا الدلائل على وجود تلك المراكز ٠

ورغم هذا الاختلاف فى وجهة النظر بين المدرستين البريطانية والالمانيه — الا انهما اتفقتا فى رفض حتمية نطور المجتمعات كلها وفق قانون ثابت وانه من غير المعقول ان يتشابه التكوين العقلى عند جميع البشر وليس من الممكن ايضا ان تتمتع جميع الشعوب بقدر متماثل من الخلق والابتكار ولكنها تستطيع بسهولة ان تستعيرة من غيرها ما تعجز عن ابتكاره بنفسها ٠

ولم يقتصر التفسير الانتشارى على اوربا وحدها بل وجد ايضا فى امريكا على يد رائدها فرانزبواز الذى يرجع اليه الفضل فى نبذ فكرة التحيز الثقافى وطرح فكرة تعدد وتنوع الثقافات والنسبية الثقافية التى اصبحت من ذلك الحين من اهم

المفهومات الرئيسية فى الفكر الانثروبولوجى وتطورة سواء فى امريكا او خارجها ٠

نقد النظرية :

١- تعتمد نظرياتها على التخمين والظن ولايمكن تحقيقها ٠

٢- محاولتهم تفسير الحياة الاجتماعية بالاشارة الى الماضى وفى حدودة ٠

٣- تركز على عملية الانتشار كعملية ميكانيكة دون مراعاة لامكانية جدوث تعديل مظهرى او وظيفى للنماذج المستعارة ٠

رابعا : المدرسة الوظيفية :-

تعد هذه المدرسة اقوى مدارس الانثروبولوجيا الاجتماعية فى الوقت الحاضر وينتمى اليها معظم الانثروبولوجيين فى بريطانيا وعدد اخر فى امريكا وتقوم على ما يلى :-

١- تتميز عن غيرها من المدارس بعدم اهتمامها بالماضى او بتاريخ النظم الاجتماعية وانما تهتم بالكشف عنوظائف النظم الاجتماعية ٠

٢- ينظر اصحاب هذه المدرسة الى المجتمعات الانسانية على انها انساق اجتماعية تعتمد اجزائها على بعض ويدخل كل جزء منهافى عدد من العلاقات المعقدة مع الاجزاء الاخرى ويمكن

عن طريق تحديد تلك العلاقات الضرورية الوصول الى قوانين علمية تسمح لنا بالتنبؤ ٠

٣- هناك قضيتين اساسيتين فى النظرية هما :

أ- ان المجتمعات انساق ٠

ب- ان هذه الانساق طبيعية يمكن ردها الى قوانين اجتماعية ٠

٤- يسود الحياة الاجتماعية نوع من الترتيب والتماسك والاستمرار . لايتيسر للفرد بدونها ان تشبع حاجاته الضرورية او يتعرف على شئونه الخاصة ٠

٥- ان تجميع العلاقات الاجتماعية فى علاقات يترتب عليه ان تتخذ كل مجموعه صورة النظم الاجتماعية يمارس الاشخاص الداخلون فى نطاقها ادوارا معينه مرسومة كما يؤدى كل نوع من النشاط وظيفة معينة فى الحياة الاجتماعية ٠

تاريخ الفكر السوسيوأنثروبولوجي:

مقدمة :

أن دراسة الإنسان وثقافته لم تكن بآي حال حكرا علي العصر الحديث ٠ بل أن دراسة الإنسان قديمة قدم الوجود الإنساني

نفسه علي ظهر هذا الكون يتضح ذلك من خلال العرض التالي :

أولا : فلسفات العصر القديمة :

١. دور القدماء المصريين :

لقد لعبت الحروب والرحلات التجارية منذ عصور ما قبل الميلاد دورا هاما في حدوث اتصال بين الشعوب واكتساب معرفة الواحد بالآخر خاصة فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات ويعتبر مؤرخوا الأنثروبولوجيا تلك المعرفة بمثابة جذور أولية للدراسات الأثنوجرافية التي تشكل قاعدة هامة للمقارنه بين النظم الاجتماعية ويكتب مودوى في عرضة لتاريخ الاثنوجرافيا – أن الرحلة التي قام بها القدماء المصريون عام ١٤٩٣ قبل الميلاد تعد من اقدم الرحلات التاريخية علي الاطلاق وذلك حين ابحر في النيل صوب جنوب مصر اسطول مكونا من خمسة مراكب وعلي متن كل مركب واحد وثلاثون فردا وذلك بهدف تسويق بضائعهم النفيسة كالبخور والعطور ٠ نتج عن هذه الرحلة اتصال المصريين القدماء بأقزام أفريقيا وتأكيدا لإقامة علاقات معهم فيما بعد ، فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري استقبال ملك وملكة بلاد بونت لمبعوث مصرى كما اوضحت النقوش التفاصيل الجسمية لتلك الشعوب ٠

علم الانسان فى عصر النهضة او التنوير :-

ويذكر لنا المؤرخون انه بانقضاء تلك الحقيقة الطويلة من تاريخ اوربا والتى اصطلح على تسميتها بالعصور الوسطى جاء ما يعرف بعصر النهضة او عصرالتنوير ويقول ايفانزبريتشارد ان الانثروبولوجيا وليدة هذا العصر وان اصول الانثروبولوجيا فى فرنسا بدأت منذ عهد مونتسكيو (١٦٨٩ – ١٧٥٥) حيث يرى مونتسكيو فى كتابه روح القوانين ان كل شىء فى المجتمع ذاته وما يحيط به يرتبط بكل شىء اخر ارتباطا وظيفيا وقد كان يقصد مونتسكيو بكلمة القوانين العلاقات الضرورية المستمدة من طبيعة الاشياء كما ميز مونتسكيو بين طبيعة المجتمع ومبدأ المجتمع فطبيعة المجتمع هى بناؤه الخاص المتميز اى ما يجعل المجتمع يبدو على ما هو عليه اما مبدأ المجتمع فهو الرغبات والاهواء الانسانية التى تدفعة للعمل اى ما يجعل ذلك المجتمع يعمل ، وبذلك يكون مونتسكيو قد ميز بينة البناء الاجتماعى ونظام القيم الذى يعمل فى هذا البناء ومن مونتسكيو انتقلت الانثروبولوجيا حتى وصلت الى سان سيمون الذى كان – على حد تعبير بريتشارد – اول من اقترح

بشكل صريح ضرورة قيام علم للمجتمع حيث كان يرغب فى انشاء علم وضعى للعلاقات الاجتماعية التى كان يعتبرها مماثلة للعلاقات العضوية فى الفسيولوجيا ٠

وكان يرى ايضا ان من واجب العلماء وهو تحليل الحقائق والواقع وليس المفهومات او التصورات واشهر تلاميذ سان سيمون هو اوجيست كونت (١٧٩٨ – ١٨٥٧) الذى دعى الى قيام علم يهدف الى دراسة الظواهر الاجتماعية ودراسة علمية وقد اطلق علية علم الاجتماع اما اصول الانثروبولوجيا فى بريطانيا فترجع الى الفلاسفة الاخلاقيين الاسكتلنديين امثال ديفيد هيوم وادم سميث حيث كانوا ينظرون الى المجتمع على انه نسق طبيعى وهذا يستوجب استخدام المنهج التجريبى الاستقرائى كما كانوا يعتقدون فى التقدم الذى لاتحده حدود وفى قوانين التقدم وقد استخدموا هذه القوانين فى الوصول الى ما اسماه كونت بالمنهج المقارن ٠

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ازداد الاقبال على دراسة المجتمعات الانسانية بصورة ملحوظه ولقد كانت هناك ظروفا ساعدت على تقدم الانثروبولوجيا الاجتماعية فقد حدث
لمجرد الصدفة ان نهاية القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين شهدت جماعة من العلماء كرسوا حياتهم لهذا العلم ٠

اما الظروف الخاصة فهى ان هذه الجماعة من العلماء قدر لمعظم افرادها ان يعيشوا طويلا وان يتبادلوا وجهات النظر بشان هذا العلم ، بالاضافة الى ان معظمهم كان من اليهود تربطهم ببعضهم ناحية عقائدية ومن اشهر هؤلاء دارون وهنرى وانجل وماكلينان وجيمس فريزر وغيرهم ٠ هذا ويهمنا القول هنا بأن الدراسات المنهجية للنظم الاجتماعية لم تظهر الا خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وان العلماء فى هذه الفترة قد ركزوا جهودهم على دراسة اصل هذه النظم الاجتماعية ولم يهتموا بدراسة المجتمعات دراسة حقلية ذلك لان النظرية التطورية قد سيطرت على كتابتهم فى ذلك الحين ٠

وهذه النظرية قدمها الى العالم نشارلز دارون (١٨٠٩-١٨٨٣) وهو احد العلماء فى العلوم الطبيعية ونشر ارائه فى كتابه المشهور اصل الانواع وهذا الكتاب اثر فى طرق البحث فى علوم كثيرة ونادى مؤلفة فيه بضرورة الاهتمام بأصول الاشياء وتطبيقها وبتطورها وهذا بالطبع اثر على جميع العلوم الاجتماعية ومنها علم الانثروبولوجيا الاجتماعية كما يهمنا ان نشير الى ان علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية فى القرن التاسع عشر كانوا يعتمدون فى كتاباتهم على الدراسات المتداوله عن الشعوب البدائية وعلى الرغم من انهم كانوا

يتحدثون عى المنهج التجريبى الا انهم كانوا يعتمدون على الاستبطان والاستدلال القبلى ولم يقوموا بأنفسهم بملاحظة الوقائع التى يبنون عليها نظرياتهم ٠

ولم تظهر الدراسات المنهجية المنظمه الا فى منتصف القرن التاسع عشر حيث ظهرت كتب نعتبرها الان امهات الدراسات النظرية الاولى فى الانثروبولوجيا ومن هذه الكتب كتاب مين عن القانون القديم وكتابه عن المجتمعات القروية فى الشرق والغرب وكتاب ماكلينان عن الزواج البدائى ٠ وكتب مورجان عن انساق وروابط الدم والمصاهرة فى العائلة الانسانية وكتب اخرى ٠

وقد حاول هؤلاء الكتاب تخليص دراسه النظم الاجتماعية من التفكير النظرى كما فعل الفلاسفة الاخلاقيين من قبل ، وفى الحقيقة فان علماء القرن التاسع عشر لم يقدموا لنا تاريخا نقديا كما ان تطبيق المنهج المقارن على النظم الاجتماعية اثبت عقمه ذلك ان الوقائع التى اخضعت للتحليل كانت اما غير دقيقة واما غير كافية فضلا عن انتزاعها من السياقات الاجتماعية التى يعطيها وحدها معناها ٠

خامسا : علم الانسان فى القرن العشرين :-

وفى بداية القرن العشرين ظهرت كتابات اميل دور كايم (١٨٥٧ – ١٩١٧) التى اثرت بشكل عميق على الانثروبولوجيا الاجتماعية ٠ والحق ان دور كايم يعتبر شخصية مركزية فى تاريخ تطور العلم وذلك بفضل نظرياته الاجتماعية العامه ولانه استطاع – مع زملائه وتلاميذة الموهوبين – تطبيق هذه النظريات بمهارة واستبصار على دراسة المجتمعات البدائية ٠

ويمكن تلخيص موقف دور كايم على النحو التالى :

لايمكن تفسير الحقائق الاجتماعية فى حدود علم النفس الفردى على الاقل لان هذه الحقائق توجد خارج عقول الافراد ومستقلة عنها فاللغة مثلا تكون موجودة قبل ان يولد الفرد فى المجتمع الذى يتكلم بها كما انها تظل موجودة بعد ان يموت ذلك الفرد بينما يتعين عليه هو ان يتعلمها كما تعلمتها من قبل كل الاجيال السباقة وكما ستتعلمها كل الاجيال القادمة فهى فى حقيقة اجتماعية او هى شىء قائم بذاته ولايمكن فهمه الا فى ضوء علاقتة بالحقائق الاخرى التى من نفس النوع او كجزء من نسق اجتماعى وفى حدود وظائفها فى المحافظة على ذلك النسق ٠

كما تمتاز الحقائق الاجتماعية بعموميتها وقدرتها على الانتقال والقهر فكل اعضاء المجتمع لهم على العموم – نفس العادات والعرف واللغة والاخلاق كما انهم جميعا يعيشون فى نفس الاطار من النظم القانونية والسياسية والاقتصادية وكل هذه الاشياء تؤلف بناء له درجةمعينه من الثبات والاستقرار بمعنى انه يستمر فى الوجود فترات طويلة من الزمن يحتفظ خلالها بأهم مقوماته التى تنتقل من جيل الى جيل ٠

اما الفرد فيمر فقط خلال ذلك البناء الذى يجد نفسه فيه فالبناء لم يولد معه ولن يموت بموته لانه ليس نسقا فيزيقيا وانما هو نسق اجتماعى له شعور جمعى يختلف عن الشعور الفردى ٠ وتمتاز الحقائق الاجتماعية التى تؤلف فى مجموعها البناء بأنها ظاهرت ملزمه بمعنى ان الفرد الذى لايخضع لها يتعرض لكثير من الجزاءات والعقوبات والمآخذ القانونية والاخلاقية ٠ والفرد فى العادة لايشعر بأية رغبه – بل ولن يجد الفرصة – لان يفعل سوى ما تقضى به هذه الحقائق ٠ فالطفل الذى يولد فى فرنسا من ابوين فرنسيين لن يجد امامه الا ان يتعلم الفرنسية ولن يرغب فى غير ذلك ٠

وفى الحقيقة كانت لكتابات دور كايم اثرها البالغ على كتابات كل من رادكليف ومالينوفسكى اللذين يعتبرا المسئولين

عن تشكيل الانثروبولوجيا الاجتماعية فى شكلها الحالى فى انجلترا ٠ ويعد مالينوفسكى تلميذ لكل من هو بها هوس ووسترمارك وسلجمان ولقد كان له الفضل فى تحقيق تقدم هائل فى الدراسات الحقلية ويتضح ذلك فى دراسته لسكان جزر التروبرياند فى ميلانيزيا حيث قضى اربع سنوات بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ وهى فترة تطول كثيرا عن المدة التى امضاها اى انثروبولوجى اخر من قبل فى دراسة مجتمع بدائى واحد ٠

كما انه كان اول انثروبولوجى يستخدم لغة الاهالى انفسهم فى اجراء البحث وكذلك اول من عاش مع الاهالى وبطريقتهم الخاصة طيلة مدة الدراسة وبفضل هذه الظروف المواتية امكن له ان يتغلغل فى الحياة الاجتماعية عند سكان جزر التروبرياتند وان يفهمها فهما عميقا ٠ وقد تتلمذ على يديه كل من فيرت ويفانزيريتشارد وعدد كبير من اساتذة الانثروبولوجيا الاجتماعية فى انجلترا ٠

واذا كان مالينوفسكى قد تفوق على راد كليف براون فى مجال الدراسة الحقلية فان راد كليف براون قد تفوق على مالينوفسكى فى قدرته على تبسيط النظرية الوظيفية او العضوية للمجتمع فى وضوح واتساق وعرضها فى شكل تنظيم

مطرد وبطريقة سهلة واسلوب سلس ٠ حيث يرى براون ان فكرة الوظيفية التى تطبق على المجتمعات الانسانية تقوم على المماثلة بين الحياة الاجتماعية والحياة العضوية ٠

فالوظيفة هى الدور الذى يؤديه اى نشاط جزئى فى النشاط الكلى الذى يكون هو جزءا فيه ٠ ووظيفة اى عادة اجتماعية جزئية هى اذن الدور الذى تلعبه هذه العادة فى الحياة الاجتماعية كلها باعتبار هذه الحياة هى عماد النسق الاجتماعى الكلى ٠ فكان للنظم وظيفة معينه تؤديها فى البناء الاجتماعى الذى يتألف من افراد الناس الذين يرتبطون ببعضهم البعض فى كل واح متماسك عن طريق علاقات اجتماعية مقررة ويتحقق استمرار البناء بعملية الحياة الاجتماعية ذاتها بمعنى ان الحياة الاجتماعية فى اى مجتمع هى التى تخلق ذلك البناء وتحافظ على كيانه وتبعا لهذا التطور يكون للنسق الاجتماعى وحدة وكيان وظيفى اى انه ليس مجرد تجمع او حشد وانما هو كائن عضوى او كل متكامل ٠

ويقول براون انه عندما نتحدث عن التكامل الاجتماعى فانه يفترض ان وظيفة الثقافة ككل هى ربط افراد الكائنات البشرية وتوحيدهم فى ابنية اجتماعية تتمتع بدرجة معينه من الثبات والاستقرار اى فى انساق ثابته تتألف من جماعات وزمر

تحدد علاقة هؤلاء الافراد بعضهم ببعض وتنظمها كما تسمح بالتكيف الخارجى مع البيئة الفيزيقية وبالتكيف الداخلى بين الافراد او الجماعات التى تؤلف هذه الانساق حتى يتسنى قيام حياة اجتماعية متماسكة ٠

وفى الحقيقة فان استخدام مفهومات البناء الاجتماعى والنسق الاجتماعى والوظيفة الاجتماعية حسب التعريفات التى وضعها براون ساعدت مساعدة فعالة فى تحديد وتعيين مشكلات الدراسة الحقلية ٠

الفصل الخامس

مناهج وادوات البحث في الدراسات السوسيوأنثرويولوجية

مقدمة:

تشـــترك الانثروبولوجيـــا الاجتماعيـــة مـــع كـــل العلـــوم الاجتماعية فى تطبيق المنهج العلمى الذى يتلخص فى :

١- دراسة الظاهرة الاجتماعية دراسة دقيقة كما هى لاكما ينبغى ان تكون وترجمتها الى رموز كمية ٠

٢- دراسـة الظـاهرة الاجتماعيـة دراسـة موضـوعية بعيـدة عـن التحيز او النظرة الذاتية ٠

٣- دراسة الظاهرة الاجتماعية للوصول فى النهاية الى قوانين عامةتخضع لها الظاهرة ٠

ولقد اكتشف العلماء الانثروبولوجين فى نهاية القرن التاسع عشر امكانية تطبيق المنهج العلمى فى بحوثهم عن طريق الدراسة الميدانية التى تتمثل فى ملاحظة الواقع الاجتماعى مباشرة اى يقوم الباحث نفسه بجمع المعلومات بطريق بحث معينه ثم يقوم بتحليلها ٠

ولقد كانت اول دراسة ميدانية هالدراسة التى اجرتها بعثة هادون لمنطقة مضايق توريس فى المحيط الهادى فى عامى ١٨٩٨ و ١٨٩٩ ٠ وظلت البحوث والدراسات تتوالى بعد ذلك تباعا وهى تحاول تطبيق المنهج العلمى بقدر المستطاع ويمكن تلخيص مناهج البحث فى الانثروبولوجيا الاجتماعية فيما يلى :-

(١) المنهج الوصفى :

تمثلت بدايته من خلال كتابات المؤرخين القدامى والرحالة والمستكشفين الذين سجلوا بعض الصفات والغرائب التى لفتت انظارهم عند زيارتهم للشعوب البدائية او المجتمعات المختلفة قديما ٠ وتتسم هذه الكتابات بانها لم تكن منظمة حيث لم يقصد كاتبها سوى تقديم صورة وصفية لهذة المجتمعات ولكنها على أيه حال مهدت السبيل لقيام نزعة علمية وصفية تحليلية للدراسات الانثروبولوجية ومن امثلة هذه الدراسات الوصفية كتابات هيرودوت ٤٨٠ ق ٠ م وكتابات الرحالة العربى ابن بطوطه ٠

(٢) المنهج المقارن :

فى الحقيقة ان الباحث فى الانثروبولوجيا الاجتماعية لايكتفى بوصف الحياة الاجتماعية فى مجتمع دراسته وانما يجب عليه ان يعتمد على اسلوب المقارنة الذى يتلخص فى مقارنة الظواهر الاجتماعية السائدة فى مجتمع بحثه بمثيلها فى المجتمعات الاخرى القديمة او الحديثة ٠

وفى الحقيقة ان كثرة الدراسات الميدانية فى مجتمع الدراسة تثرى النظرية السوسيولوجية من ناحية وتساعد على توسيع نطاق المقارنه على المستوى الرأسى والافقى من ناحية

اخرى ويقصد بالمستوى الرأسى (زمانى وتاريخى) المقارنه بين ظاهرتين او نظامين اجتماعيين فى مجتمع واحد فى فترتين زمنيتين مختلفتين ومثال ذلك حينما نقارن بين نظام الزواج فى المجتمع المصرى فى العصر المملوكى والعصر التركى ٠ على حين يتمثل النوع الثانى من المقارنة فى المستوى الافقى (المكانى – الجغرافى) حيث نقارن مثلا بين نظام القرابة فى مصر ونظيره فى الهند ٠

(٣) المنهج التجريبى :

يقول ايفانز بريتشارد " ان الحاجة ماسة الى استخدام منهج علم للبحث يحل محل الطريقة القديمة التى كان يطبق بها المنهج المقارن ٠ ومن السهل تحقيق ذلك باتباع ما يعرف فى العلوم الطبيعية باسم المنهج التجريبى وذلك حتى لاتنفك الانثروبولوجيا وتنحل الى عدد لاينتهى من الدراسات المنفصلة المستقلة غير المترابطه خاصة وان الانثروبولوجيا الاجتماعية اصبحت تعتمد على البحوث الحقلية التى تقوم على الملاحظه المباشرة ٠

وعن كيفية تطبيق المنهج التجريبى على البحوث الحقلية يرى ايفادريريتشار ان الارتكاز على نتائج الدراسات السابقة واتخاذها نقطة بدأ فى الدراسة الحالية كفيل بدفع البحث الى

ميادين اعمق واضافة صيغ جديدة الى النتائج الثابتة التى توصلت اليها الدراسات السابقة وبحيث تقدم الدراسة الحالية فروضا جديدة قابلة للتحقيق ٠ ومن هنا — سوف تعمل كل دراسة الى مستوى اعمق فى البحث يؤدى بدورة الى وضع تعريفات اشد وضوحا للتصورات والمفهومات ٠ وبهذا المعنى تعتبر الدراسة الحقلية الحديثة دراسة تجريبية كما تعتبر — بمعنى مختلف بعض الشىء — دراسة مقارنه ٠

ولقد اعتمد الانثروبولوجيون الاجتماعيون على عدة طرق وادوات اثناء دراساتهم الحقلية نذكر منها :

<u>اولا : الملاحظة بالمشاركة :</u>

وهى طريقة بالغة الاهمية فى الدراسات الانثربولوجية حيث تضفى عليها طابعا خاصا يميزها عن دراسات العلوم الاجتماعية الاخرى ٠ وتعتمد هذه الطريقة على قاعدة اساسية تتمثل فى ضرورة ان يعيش الباحث وسط المجتمع الذى يدرسه ويعايشة معايشة كاملة ٠ ويندمج فى نسيجة حتى يصبح عضوا فيه ويحظى من المجتمع بالقبول والترحيب ٠ ولذا فلا بد على الباحث ان يقوم بدور ما فى مجتمع دراسته حتى يتمكن من من ملاحظة السلوك اليومى بشكل تلقائى دون تلك وذلك من خلال معيشته فترة من الزمن فى هذا المجتمع وتعلم اسلوب الحياة

الجديدة ،ويستخدم نفس لغتهم وتصوراتهم ومفاهيمهم فى تفكيرة ،ويعتنق قيمهم ،ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم ،واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم ٠ ويدخل فى بعض الاحيان كعضو فى جمعياتهم اذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك ٠

كما ان على الباحث ان لا يجمع ايه معلومات او ملاحظات عن مجتمع دراسته الابعد ان ينجح فى ان يقبله فراد المجتمع وكأنه احدهم ٠

وعندما يبدأ الباحث فى كتابة تقاريره اليومية عن كل كبيرة وصغيره تقابله فى المجتمع عليه ان يلتزم بالموضوعية وعندما تتضح له فكرة عامه عن اسلوب المعيشة فى المجتمع يبدأ فى عملية التحليل وكشف عناصر البناء الاجتماعى حتى تصبح دراسته مفهومه على مستوى التحليل الاجتماعى ، وهو هنا لايكتفى بمجرد السرد الوصفى للحياة الاجتماعية فى مجتمع دراسته وانما يجب علية ان يكشف عن النماذج والانماط التى تمكنه من ملاحظة البناء الاجتماعى ككل مترابط الاجزاء وليس هناك مانعا من ان يركز فى دراسته على نظام اجتماعى واحد مثل نظام الزواج او النظام الاقتصادى او النظام القرابى او النظام الاخلاقى ٠ وهكذا يستخدم الانثروبولوجى الاجتماعى الملاحظه بالمشاركه فى جمع المعلومات عن جميع جوانب

البناء الاجتماعى بحيث يمكن ملاحظته ككل ضمن ما يعرف بالطريقة الكلية وهى احدى الخصائص المميزه للمنهج الانثروبولوجى ٠

ولقد حدد ايفانزبريتشارد عدة شروط لنجاح الملاحظة بالمشاركة وهى : -

١- ان تسبق هذه المرحلة دراسة نظرية واسعة للباحث فى جميع فروع الانثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع ٠

٢- على الباحث قبل ان يدون اى ملاحظه فى مجتمع دراسته ان يقضى فترة كافية فى الاشتراك ملع افراد فى اسلوب حياتهم ٠

٣- ان يكون الباحث على صلة بأفراد مجتمع دراسته طوال فترة الملاحظة ٠

٤- على الباحث ان يتعلم لغة مجتمع دراسته حتى يمكن ان يدون ملاحظاته بدقة ٠

٥- على الباحث ان يتكيف مع طبيعة الحياة فى مجتمع دراسته ٠

٦- على الباحث ان يكون موضوعيا فى ملاحظاته ويتخلى بقدر الامكان عن قيمة وحضارتة وايديولوجيته ٠

٧- على الباحث ان يلاحظ جميع جوانب الحياة الاجتماعية فى مجتمع دراسته لان الدراسة الكلية للمجتمع ضرورة ٠

٨- على الباحث ان يصيغ ملاحظاته فى لغة سهلة واضحة يكون قادرا على التعبير السليم لملاحظاته فى مجتمع دراسته ٠

ثانيا : المقابلة :

وهى طريقة منهجية بالغة الاهمية يعتمدعليها الانثروبولوجى وغيرة من المتخصصين فى العلوم الاخرى — فى دراستة الميدانية — والواقع ان المقابلة تتيح للباحث ان يقترب اشد الاقتراب من الجماعات التى يتصل بها فى اثناء قيامه بدراسة احد النظم او الظواهر الاجتماعية ٠ ولكن هذا الاقتراب رهين بمدى تقبل المجتمع للباحث ٠ ولذلك يميل بعض الانثروبولوجيين فى الوقت الراهن الى تعلم اللهجة العامية التى تسود المجتمع المراد دراسته ويعتبر هذا التعليم والتدريب ضروريا بالنسبة لاجراء البحث واكثر ضرورة عند كتابة هذه اللهجة ٠ وفى هذه الحالة يحصل الانثروبولوجى على المادة العلمية شفاهة من الاخباريين والتقارير التى يسجلها فى اثناء

المقـابلات او المناقشـات الخاصـة والمـذكرات المختصـرة التـى يدونـها فى وجودة فى موقف اجتماعى خاص او اثناء مشاهدة حدث معين ٠

والجدير بالذكر ان الانثروبولوجى الاجتماعى يعتمد على المقابلة بالاضافة الى اعتمادة على الملاحظه المشاركة حيث يلتقى مع بعض افراد المجتمع الذين يتمتعون بسمعه طيبه ويحاول فى المقابلات الاولى ان يكسب ثقتهم وبعد ذلك يوجه اليهم الاسئلة ويتيح لهم فرصة الاجابة المستفيضه كما يحاول ايضا ان يشجعهم بكلمة او اشارة تزيد حماسهم فى الاسترسال حول الموضوع الذى يدرسه ٠

والباحث فى هذه الحالات ينبغى عليه تدعيم ثقته بالاخباريين حتى يسمحوا له بتدوين تلك المعلومات او تسجيلها بالوسائل الصوتية والمرئية ٠ فاذا لم يكن قد اكتسب ثقتهم بعد فيمكنه تدوين النقاط الاساسية بطريقة لا تثير الشك وفى بعض الاحيان لايكتب الباحث ايه معلومات اثناء المقابلة وانما يحتفظ بكل ما سمعه الى ما بعد انتهائها فيكتبه قبل ان تخونه الذاكرة وينساه ٠

وتتلخص هذه الطريقة فى انها تتيح فرصة اظهار سمات شخصية الافراد واعطاء معلومات نفصيلية عن الموضوعات التى تدور حول الاسئلة ٠

ويجدر الاشارة هنا الى ان هناك نوعين من المقابلة هما كما يلى :

١- <u>المقابلة غير الموجهة</u> :

ويقصد بها مقابلة الباحث لبعض الاخباريين فى مجتمع بحثه بعد ان يكون قد اكتسب ثقتهم ثم يبدأ فى توجيه الاسئلة اليهم وعلى الباحث ان يستمع الى اجاباتهم دون مقاطعة حتى فى حاله طولها ويمكن للباحث ان يسجل معلوماته هنا بالالات الحديثة او يدونها فى مذكراته حسب ظروف المقابلة ٠

٢ - <u>المقابلة الموجهة :</u>

وتتمثل هذه الطريقة فى ان الباحث الانثروبولوجى يستخدم استبيان او استمارة بها مجموعه من الاسئلة وضعها بدقة حول موضوع معين ثم يقرأ كل سؤال امام المبحوث (الفرد المراد دراسته) يسجل اجابته فى الاستماره ثم يفرغ هذه الاجابات فى جداول يمكن تحليلها ٠

ثالثا — طريقة تاريخ الحياة :

يستخدم كثير من الانثروبولوجيين هذه الطريقة المنهجية فى اثناء الدراسة الميدانيه وتتلخص هذه تاطريقة فى تدوين أهم الاحداث التتمر فى حياة بعض افراد مجتمع الدراسة وعلى الاخبارى أن يقص على الباحث تاريخ حياته منذ الصغر الى اللجظة التى يتحدث فيها ٠ والواقع ان استجابة الاخبارى للباحث بهذا الشكل لايمكن ان تتحقق الا بعد تبادل الثقة بينهما وتدعيم العلاقة بحيث تسمح للاخبارى بان يبوح بكل الاحداث والظروف والوقائع التى مرت به ومر بها وكان لها الاثر فى توجية وجهتها الحالية ٠

اضف الى ذلك ان هذه الطريقة المنهجية يمكن ان تفيد الباحث فى التعرف على اهم الاحداث التى مرت بالمجتمع الذى يدرسه واثرت فى الظاهرة او النظام الاجتماعى موضوع الدراسة ٠

ومن الواضح ان تبادل الثقة — كما قلنا — يضفى على المعلومات المقدمة صفة الموضوعية ويساعد على ذكر كل المعلومات المطلوبة وعدم اخفائها او ليهل الا ان الحس

التاريخى وذاكرة الكبار غالبا ما تخونهم ، فلا يستطيعون أ، يتذكروا المعلومات القديمة او يسترجعونها وقد يدلون — لتغطية نسيانهم وصعوبة استرجاع الصورة الكاملة للموقف او الحدث — بمعلومات غير مؤكدة ٠ وهنا ينبغى على الباحث ان يتأكد من صحة هذه المعلومات من خلال الرجوع الى اكثر من اخبارى والاعتماد على السجلات والوثائق التاريخية — ان وجدت والمقارنه بينها وبين ما ادلى به الاخباريون والوصول بالتالى الى الصورة شبه الصحيحة ٠

رابعا — طريقة الاختبارات النفسية :

يستخدم بعض الانثروبولوجين الاجتماعيين اثناء دراستهم الميدانية بعض الاختبارات النفسية لتحديد الخصائص الشخصية لافراد مجتمع البحث ومن أمثلة هذه الاختبارات اختبارات مستوى الطموح اختبارات الذكاء . اختبارات الميول ٠

خامسا : ادوات مساعدة يستخدمها الانثروبولوجى :

ومن الادوات المساعدة التى يستخدمها الانثروبولوجى اثناء دراسته الميدانية وجمع مادته الحقلية ما يلى :

السجلات والوثائق والتقارير المنشورة واجهزة التسجيل الصوتى "المسجلات " والتسجيل المرئى والات التصوير ٠

ولاشك فى ان السجلات والوثائق والتقارير المنشورة تفيد الباحث فى بحثة . من خلال ما تقدمة له من معلومات من الظاهرة ، أو النظام الاجتماعى الذى يدرسه ٠ وتتيح له هذه المادة المكتوبة فرصة اجراء المقارنات بين الظاهرة او النظام موضوع البحث فى فترات زمنية مختلفة (مقارنة رأسية) للتعرف على اوجة الثبات ومعالم التغير ومعاونة البحث عن العوامل الفاعلة وراء ذلك ٠ اما اجهزة التسجيل بنوعيها المسموع والمرئى فهى تسجل لواقع حى ينبض بالحركة والحيوية والاحتفاظ بها مدة ظويلة مما ييسر فى المستقبل اجراء المقارنات بينها وبين دراسات اخرى احدث منها للوقوف على ما طرأ عليها من تغيرات ٠

ونود الاشارة الى ان هذه الادوات التكنولوجية الحديثة ليس من السهل استخدامها فى البحوث الانثروبولوجية نظرا لتحفظ بعض الاخباريين على استخدامها — شكا فى الباحث توجسا لخيفة منه او جهلا يفرضه او نفورا منه ٠٠ وبالتالى ينبغى ارجاء الاعتماد عليها حتى تتضح اغراض البحث ٠ ويقدم الباحث نفسه لمجتمع الدراسة ويتفهم اعضاؤه موقفه ويدعم

الثقة بينه وبينهم ويبسط يدة اليهم بالألفة والمودة وحينئذ فقط يمكن له الاعتماد على هذه الادوات واستخدامها فى جمع المادة الميدانية ٠

المشكلات التى يواجهها الباحث الميدانى :

لاشك فى ان البحث الانثروبولوجى تحيطه الصعاب وتغلغله المشكلات العديدة ٠ وقد ترجع هذه الصعاب والمشكلات الى طبيعة موضوع البحث نفسه او الى طبيعة المجتمع المروس او الى شخصية الانثروبولوجى وطريقته فى التعامل مع ابناء مجتمع الدراسة وعلاقته بهم ٠

اما بالنسبة لموضوع البحث فقد يكون عسيرا فى بداية تناوله اولا تتوافر عنه المادة العلمية المكتوبة او يستلزم الاقامه الكاملة مدة من الزمن تتراوح ما بين العام الواحد وثلاثة اعوام — وفى هذه الحالة يترك الانثروبولوجى وطنه واهله واسرته ويتفرغ لهذا الموضوع بالدراسة والبحث ٠ وفى سبيل ذلك يعانى من مشكلات الاقامة ٠ وتقديم نفسه للمجتمع وتدعيم الثقة بالاهالى والتعرف علىلغتهم والالفاظ المحورية ذات الدلالة الواضحة فى البحث ٠٠٠ الخ ٠

كما قد تمثل طبيعه المجتمع المدروس مشكلة امام الباحث ويصدق ذلك على المجتمعات الافريقية الاستوائية الحارة

ذات الظروف المناخية الصعبة التى لم يألفها الباحث ولم يتعود عليها مثلا ، كذلك قد تكون ثقافة المجتمع من النوع الذى يستغلق علىالفهم السريع كما قد تكون اللغة المستخدمة غير مكتوبة وبالتالى يصعب تعلمها الا من خلال المعايشة كما فعل مالينوفيسكى وتلك لايستطيع الباحثون جميعا تحملها كما تحملها دارس التروبرياند ٠

ويمثل انتقال الباحث بين ربوع المجتمع مشكلة اخرى حيث يصعب الانتقال نظرا لانعدام وسائل المواصلات اولقسوة البيئة ووعورة الطرق ٠٠ الخ٠

الجانب الثالث يتعلق بالانثروبولوجى ذاته ومقوماته الشخصية وطريقة تعاملة مع ابناء المجتمع الذى يدرسه والواقع ان هذه المشكلة تأتى فى النهاية لان المفترض — والواقع — ان الانثروبولوجى مؤهل تأهيلا علميا وعمليا على البحوث الميدانية ، ولكننا نتناول الجانب من زاوية ان الانثروبولوجيين يشتركون جميعا فى نوع المعرفة بيد انهم — كغيرهم من الناس — يختلفون فيما بينهم فى امور تتعلق بنوع التجارب والخبرة والتكوين الشخصى ٠ فشخصية الانثروبولوجى تؤثر بالضرورة فى عمله ، كما تؤثر شخصية المؤرخ فى عمله سواء بسواء فالدراسة الانثروبولوجية ليست وصفا دقيقا وامينا

للحياة الاجتماعية فى مجتمع معين وانما هى فى نفس الوقت انعكاسا لشخصية صاحبها نفسه ٠ ومن هنا كانت بعض نتائج الدراسة تتوقف على العناصر الذاتية التى يدخلها الباحث فى دراسته كالاحكام الخلقية ٠ الا ان هذه المشكلات — التى ترجع الى المقومات الشخصية للباحثين — تميل الى ان تصحح بعضها بعضا ٠ وعلى ذلك فليس ثمة ما يدعو الى الخوف اوالقلق على قيمنة الدراسات الانثروبولوجية وصدق نتائجها على حد تعبير ايفايزبريتشاد نفسه ٠

<u>المشكلات التى تواجة الانثرويولوجى عند كتابة التقرير</u>

تبدأ المشكلات التى تواجه الانثروبولوجى عند كتابة تقريرة منذ اللحظه الاولى التى يبدأ فيها تدوين تقاريرة اليومية وهنا تقف عند هذه النقطه للاشارة الى بعض الملاحظات البسيطه حول اسلوب التدوين ووقته المناسب ، ومكانه المفضل ٠٠٠ الخ ٠

ولاشك فى ان افضل الظروف لتسجيل المعلومات الميدانية هى تسجيلها فى نفس مكان الحادث وأثناء حدوثه ففى هذه الحالة يتجنب الانثروبولوجى الاجتماعى التحيزلمعلومات على حساب معلومات اخرى بمعنى انه يسجل كل المعلومات التى تدور حوا الحادث الذى وقفت عليه حواسه

، ومن ناحية اخرى يتحاشى دور ضعف الذاكرة حينما يدون التفاصيل التى راها ولاحظها وبالتالى لايجهد ذاكرته فى استرجاع التفاصيل بعد فوات الاوان ٠

الا انه فى كثير من المواقف تكون عمليه تدوين المعلومات فى اثناء الملاحظة الظاهرة ، امرا غير ممكن او مثارا للشكوك بين مجتمع البحث ، او باعثا للتصنع فى السلوك وابعادة عن طبيعته التلقائية ومن ثم تتشوة الصورة الطبيعية للظاهرة وبالاضافة الى ما سبق فان قيام الانثروبولوجى بالملاحظة وتسجيل المعلومات الميدانية فى نفس الوقت يؤدى غالبا الى عدم دقة الملاحظة حيث يحول التدوين دون التركيز والتعمق فى استخدامها وكلما حاول الباحث تسجيل معلومه فانه ينتقل من ملاحظه الظاهرة او الحدث ويغفل عن استقراء الملامح والتعبيرات الحركية واللفظية والرموز والاشارات التى يبديها اعضاء مجتمع الدراسه ، وتكون لها دلاله فى فهم الظاهرة او الحدث ككل ٠ ولذلك ساد الاتفاق على ضرورة تدوين كل المعلومات فى اقرب فرصه متاحه بعد الملاحظه المباشرة كما يجب ان يكون التسجيل بصورة يومية على الاقل وان يشمل تقريرا مطولا عن حوادث ومشاهدات اليوم بأكمله ٠

وهناك موقف وسط يفيد الباحث فى الجمع بين الملاحظه الميدانية للظاهرة او الجدث وبين التدوين ويتمثل هذا الموقف فى تسجيل النقاط الهامه او رؤوس الموضوعات او مايذكر الباحث بها حول الظاهرة لحظة حدوثها لاسيما وان هذا التسجيل لن يستغرق دقيقة ٠ كما انه يتم على قصاصة ورق صغيرة يحملها الباحث فى جيبه وبالتالى فلن تشغله فى طيها او تجهيزها للكتابه ٠٠ الخ ٠

ومن جانب اخر يمكن للانثروبولوجى ان ينتحل اى عذر بعد حدوث الظاهرة ليعود الى مسكنه — او اى مكان يختلى فيه الى نفسه بعيدا عن الافراد ويسجل تفاصيل الحدث كاملة وحينما يكتب تقريرة النهائى فانه يحللها ويتأملها ويتحاور معها على مستوى النظرية ٠

ومن جانب اخر يجد الانثروبولوجى لزاما عليه ان يصنف مذكراته اليوميه حسب فهرس يتكون من الموضوعات الاساسة التى يدرسها وبالتالى يخصص مكانا واحدا للموضوع الواحد وهكذا وتظهر اهمية التسجيل والتصنيف حينما تعرف ان العمل الميدانى والملاحظات والتعليقات والشروح والتفسيرات التى يكتبها الباحث يوميا تتراكم على مدى فترة عامين او ثلاثة

لتصبح الافا من الاوراق ومئات من الموضوعات الخاصة والعناوين الرئيسية والفرعية ... الخ.

اما من ناحية كتابه التقرير النهائى للبحث فان الدراسات الانثروبولوجية الحديثة لم تعد تعتمد على تفسير ثقافة معينه بالرجوع الى ثقافة اخرى . كما تجاوزت مرحلة الوصف الخالص للحياة الاجتماعية عند شعب من الشعوب البسيطة وانما صارت المدرسه الحقلية الحديثة تهدف الى الوصف التحليلى الكامل للنظام الاجتماعى او الظاهرة الاجتماعية وبشكل يبرز الملامح الهامة فى الحياة الاجتماعية مما يتيح فهم هذه الحياة والوصول بالتالى الى قضايا عامة تشكل نظريات فى المراحل اللاحقة وفى ضوء هذه الاتجاهات الانثروبولوجية الحديثة بدأت الملاحظات والمذكرات التى يدونها الانثروبولوجى — فى دراسته الميدانية — تصاغ بشكل تلقى الضوء على مشكلة تتعلق بأحد مظاهر الثقافة او احد النظم التى تشكل البناء الاجتماعى .

وقبل الحديث عن مشكلات كتابة التقرير نشير الى ان معظم الانثروبولوجيين ظلوا يعتبرون ان المذكرات الميدانية والمنادة التى يجمعونها من الميدان مصدر خاص للمعلومات بالنسبة لكل باحث فرد ، بمعنى ان المادة الخام التى يجمعها

انثروبولوجى لا ينبغى ان يحاول انثروبولوجى اخر الاستفادة منها . وفى هذا الصدد يمكن ان يمزق الواحد منهم مذكراته الميدانية وملاحظاته الانثروبولوجية بعد تحليلها وكتابة التقرير النهائى ونشرة ٠ على حين نجد فريقا اخر ينظر اليها كمادة تفقد قيمتها بمجرد تحليلها ٠

والواقع ان هذين الاتجاهين خاطئات الى حد كبير كما انهما قطعا لايساعدان على تراكم التراث الانثروبولوجى والدراسات الموفوجرافية على مجتمعات متنوعة علاوة على انهما لايسمحان بتوافر مادة خام يمكن الاستعانه بها مرة اخرى — وعلى ايدى باحثين انثروبولوجيين اخرين او الباحث الاصلى صاحبها نفسه — فى دراسات حول ظواهر جديدة او نظم اجتماعية اخرى ٠

وهكذا ينبغى ان تخضع تلك المادة الخام — بعد كتاباتها وتحليلها ونشرها — للحفظ فى ارشيفات خاصة وتصبح بمقتضى هذا الحفظ مادة متاحة امام جميع الباحثين الذين يدرسون نفس الموضوع او غيرة من الموضوعات اوالذين يجرون دراسه على مجتمعات اخرى ويستخدمونها للمقارنه ، اضف الى ذلك ان حفظ المادة الاثنوجرافية يمكننا من الوقوف على معدلات التغير الاجتماعى والثقافى الذى طرأ على تلك

المجتمعات المدروسة كما يساعدنا على التنبؤ بالمسار الذى يتخذه هذا التغير فى المستقبل ٠ ومن هذا وذاك يتضح ان حفظ المادة امرينبغى الاخذ به ومراعاته حرصا على علم الانثروبولوجيا واثراء له ٠

اما عن المشكلات التى تواجه الانثروبولوجى الاجتماعى عندما يريد كتابة تقرير عن نتائج دراسته الحقلية فهى مشكلات عديدة ومتنوعه فالمدرسة الحقلية الحديثة تنادى باستيعاب كل نواحى ومظاهر الحياة الاجتماعية فى مجتمع البحث ٠ فهل يعنى ذلك ضرورة كتابه تقرير كامل يستوفى كل الملاحظات التى جمعها الباحث عن تلك المظاهر المختلفة ؟ يجيب ايفانزبريتشارد على هذا السؤال بقوله : " بأن المؤرخ لا تعترضة نفس المشكلة او الصعوبة لانه يستطيع ان يتخير من المعلومات المتاحه امامه مايتعلق مباشرة بموضوع بحثة ويغفل ما عداها دون ان يخشى عليها من الضياع والاندثار ٠

اما الانثروبولوجى فان ما يغفل عن تسجيلة قد يتعرض للضياع وكثيرا ما يضيع للابد — كما انه لا يؤول النصوص والمصادر الموجودة بالفعل ويقابل بعضها ببعض بل انه يخلق هذه المصادر ذاتها خلقا ٠

وفى هذا الصدد يرى كثير من العلماء ان ينشر الباحث لا الانثروبولوجى كل الوقائع والحقائق التى جمعها سواء تتفق مع اهدافه واغراضه من البحث او لا تتلاءم معها وواجبة اذن هو التسجيل والتدوين دون الحكم على الوقائع او المعلومات وتقييمها لما فى ذلك من تسرع فى الحكم على ميول الاجيال المقبلة ونظرتها للامور ويحاول العلماء الان التغلب على هذه الصعوبة ينشر عدد من الدراسات عن بعض الظواهر العامه يستخدم فيها الانثروبولوجى كل الحقائق المتصلة بها لتوضيحها اما بقية المعلومات المدونه والملاحظات فانه ينشرها فى المجلات العلمية او يصورها على افلام ٠

الفصل السادس

المشكلات الاجتماعية فى الريف والحضر

تعتبر المجتمعات الريفية فى مصر هى تلك التجمعات السكنية التى ليست عاصمة لمحافظة أو مقراً لمركز من المركز الإدارية ولقد عانى الريف المصرى على مدار تاريخه الطويل من ألوان متعددة لمظاهر الاستغلال والظلم الاجتماعى التى مارسها ضده حكام البلاد وأعوانهم والحكام الإقطاعيين سواء من الأجانب أو المصريين ، كما ساهم الاستعمار البريطانى بنصيب كبير فى استغلال الريف نظراً لحاجة المستعمر إلى الموارد الأولية وخاصة زراعة القطن لتشغيل المصانع الإنجليزية [١] .

ومن أوجه الاستغلال الذى تعرض له الفلاحون على أيدى قوات الاحتلال الإنجليزى ما اتبعه الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى من تعسف وقسوة فى جمع أكثر من مليون فلاح للخدمة بالسخرة والتطوع الإجبارى مع القوات البريطانية والاستيلاء على محاصيل الفلاحين الزراعية [٢] .

ولقد ساد فى عهد الاحتلال البريطانى عديد من مظاهر الفساد التى انعكست أيضاً على القرية المصرية حيث كان المقاول يرشو الوزير حتى يحصل على عقد بشروط مجزية له ، وكان الموظف يرشو رئيسه حتى

([١]) عبد المنعم شوقى : العمل مع المجتمعات المستحدثة ، القاهرة ، دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٧م

([٢]) فاطمة علم الدين: التطورات الاجتماعية فى الريف القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ،١٩٨٤م ص١٧٩

يحصل على ترقية ، وكان صاحب الأرض يرشو مهندس الرى حتى يحصل على ماء أكثر من حقه ٠ وكان القضاة يصدرون أحكامهم لصالح من يدفع لهم أكثر ٠ وكان شيوخ القرى يحصلون على رشوة لإعفاء الفلاحين من السخرية والجندية ٠ أما رجال الشرطة فقد كانوا يأخذون الرشوة من كل من يشاء سوء حظه الاتصال بهم ، وهكذا كما يقول عالم الاجتماع المصرى عبد المنعم شوقى تعلم المصريون ومنهم الفلاحون بأن الأمور لا تسير إلا بالرشوة ن وأن الوساطة هى الوسيلة الفعالة للحصول على الحقوق ، وطالما أن الفلاح لا يملك المال ولا معرفة الكبار للوساطة فأمره لله ، حقيقة أنه قد يرشو شيخ البلد أو شيوخ الخفراء أو المعدة أو ضابط النقطة ولكنه لا يمكنه أن يذهب اكثر من ذلك ٠ وإن ما يحدث فى وقتنا الحال من محاولة الفلاح المصرى فى قضاء بعض أموره عن طريق وساطة أحد أعضاء مجلس الشعب أو الشورى ما هو إلا امتداد لما غرسه الاستعمار البريطانى ٠

ويمكن هنا عرض أهم المشكلات التى يعانى منها المجتمع الريفى :-

أولاً : المشكلات الاقتصادية :

وتتمثل هذه المشكلات فى المظاهر الآتية :

١- قلة الدخل :

حيث أدى انخفاض أجور الفلاحين وارتفاع إيجار الأرض والبطالة الموسمية إلى قلة دخل الفلاح ، هذا بالإضافة إلى إنعدام وجود مجالات غير زراعية للكسب ، وفرص العمل المحدودة ، وكثرة الإنجاب التى تزيد

من عدد الأطفال كفئة مستهلكة غير منتجيه مما يقلل باستمرار من نسبه الفئة الوسطى التى تقوم بالإنتاج ٠

٢- ندرة رأس المال :

إن رأس المال الذى يمتلكه الفلاح يتكون من الأرض والأدوات والمواشى وهو رأس مال ثابت ٠ وأن الحصول على رأس مال سائل يستلزم من الفلاح الإستدانة من المرابين ، كما أن عدم كفاية رأس المال أو عدم توفره يحول دون الاتجاه إلى الزراعة الكثيفة التى تحتاج إلى رأس مال كبير وعمالة أكثر وفترة انتظار أطول حتى يظهر المحصول ٠

٣- ضعف الإنتاج :

وهذه المشكلة ترتبط بعدة عوامل منها التمسك بإتباع طرق الزراعة التقليدية القديمة وعدم استعمال الأدوات الحديثة ورفض النصائح والإرشادات القائمة على الأبحاث العلمية والتجارب الناجحة وعدم كفاية أساليب ووسائل حماية النباتات والمحاصيل والآفات والحشرات التى تفتك بجزء كبير من المحصول مما يجعل المحاصيل الزراعية تعطى إنتاجاً أقل من الحد الأمثل ٠

وكذلك الحال بالنسبة للحيوان والدواجن حيث أدى عدم تربية الأصناف التى تعطى إنتاجاً كبيراً فى اللحم أو اللبن والبيض وعدم الدراية بوسائل التربية والتغذية السليمة إلى ضعف الإنتاج الحيوانى إلى درجة كبيرة ٠

٤- الاعتماد على محاصيل معينة :

حيث إن الاعتماد على إنتاج محصول واحد خاصة إذا كان من المحاصيل التصديرية يجعل المنتج تحت رحمة المنافسة والمضاربة فى السوق العالمية وتأثر أسعار المحاصيل بالأسعار العالمية ٠

٥- فرص العمل المحدودة ونقص الحرف :

وهى تعود إلى تزايد السكان بسرعة أكبر من زيادة الموارد الإنتاجية وإتاحة فرص عمل جديدة وإلى نقص فى التخطيط والتدريب على الكثير من الحرف التى تحتاجها القرية والتى يمكن أن تستوعب الفائض من الأيدى العاملة مثل السمكرة والنجارة والميكانيكاً وصيانة الآلات حيث إن القرية اعتادت أن تسد احتياجاتها من هذه الحرف مما هو متوفر فى المدينة ٠

٦- قلة الاهتمام بنشر الصناعات الريفية والمنزلية :

حيث عانى الريف كثيراً من هذه المشكلة فى الماضى ، وكان من أهم أسبابها نقص التخطيط لإنتاج الصناعات التى تتفق وحاجة الأسواق وقلة المساعدات المالية التى تقدم لتطوير الصناعات الموجودة والحصول على المواد الخام وتسويق الإنتاج ، وكذلك نقص الأبحاث الفنية اللازمة وبرامج التدريب التى تؤدى إلى الإبقاء على الصناعات اليدوية بشكل

متجدد قائم على تطور صناعى وفنى يجعل لها طابعاً مميزاً يمكنها من الصعود أمام المصنوعات التى تنتجها المصانع الكبيرة الحديثة ٠

ثانياً : المشكلات العمرانية :

ومن مظاهر هذه المشكلات ما يلى [١] :-

- عدم وجود تخطيط عام للقرية وانتشار مساكنها ومرافقها بصورة عشوائية ٠
- ضيق الطرق وعدم استقامتها مما يعوق حركة السير أو النقل داخل القرية ٠
- تلاصق المنازل وعدم توفر الاحتياجات المعيشية والصحية ووجود الحظائر داخلها وتخزين القش والبوصى على سطحها ٠
- قلة وسائل المواصلات بين القرى أو بينها وبين المدن ٠
- عدم وجود طرق ممهدة توصل إلى القرى وتربطها بالطرق الرئيسية ٠
- عدم توفر المساكن أو الأماكن المناسبة للموظفين أو العاملين بمرافق وأجهزة الخدمات المختلفة من غير أهل القرية ٠

ثالثاً : المشكلات الصحية :

ومن مظاهر هذه المشكلات [٢] :-

([١]) فوزى رضوان : مبادئ علم الاجتماع الريفى والحضرى ، مذكرات جامعية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٨٤ ، ص ص ٧٢ – ٧٣ ٠

([٢])

- انتشار الأمراض المتوطنة ووجود البرك والمستنقعات كمصدر لنشر أمراض البلهارسيا والانكلوستوما والملاريا والدوسنتاريا والتيفود والتبول والتبرز فى مجارى المياه مع استخدام مياهها للشرب أو للاستحمام أو غسل الخضر والملابس ٠
- وجود أماكن تكاثر الحشرات الناقلة للأمراض كالذباب والبراغيث والفئران مثل أكوام السباخ والفضلات الآدمية والحيوانية فى الطرقات والحظائر والمنازل ٠
- قلة التهوية بالمساكن وامتلائها بالدخان الناتج عن الأفران المنزلية بما يؤدى إلى الإصابة بأمراض سوء التهوية مثل السل وأمراض الجهاز التنفسى والإنفلونزا ٠
- الجهل بالأمراض المختلفة وطرق الوقاية منها وعدم الاهتمام بالتحصين ضد الأمراض للوقاية منها ٠
- قلة الوعى الصحى والتى تتمثل فى عدم الإسراع بالعرض على الطبيب عند الشعور بالمرض ، حيث يفضل أهل القرية إستخدام الوصفات البلدية ووسائل العلاج البدائية ، كما لا يهتم أهل القرية بأهمية عزل المرضى والمصابين بأمراض معدية أو الإبلاغ عنهم مما يساعد على انتشار هذه الأمراض وإصابة أفراد الأسرة والجيران بها ٠
- سوء التغذية واعتماد الفلاح على وجبات لا تفى بالاحتياجات اللازمة للجسم مما يجعله عرضه لإصابة بالأمراض الناتجة عن نقص التغذية أو الفيتامينات ٠

- عدم توفر الخدمات الصحية والعيادات الطبية بالقرى أو قلة الأطباء بها ٠
- عدم الإقبال على تنظيم النسل وكثرة إنجاب الأطفال التى تؤدى إلى ضعف الأم والأطفال ٠

رابعاً : المشكلات الثقافية :

ومن أهم هذه المشكلات ما يلى :-

- سيطرة الأمية على غالبية السكان فى المجتمع الريفى وهذا مرتبط بظروف المجتمع وارتفاع تكاليف التعليم وقلة المدارس فى القرى مع وجود التسرب الدراسى بين أبناء الفلاحين بسبب تكدس الفصل الدراسى مع قيام الآباء بتشجيع الأبناء على ذلك للاستفادة بهم فى العمل الزراعى ٠
- عدم الاهتمام بالمناهج الدراسية وعدم ملائمتها للحياة فى الريف ، حيث أن نظام التعليم العام يخلق مواطناً يعرف القراءة والكتابة دون أن يتعلم ما يهتم البيئة ويربطه بها ليعيش فيها كمزارع أو صانع مثقف ٠
- هجرة المتعلمين والمتعلمات إلى المدنية بعد اصبحوا غير قانعين بحياة الريف ٠
- قلة مصادر الثقافة والمعرفة فى القرية مثل الجرائد والمجلات والكتب خصوصاً تلك التى تناسب مستوى التعليم فى القرية أو قدرات الذين محيت أميتهم ٠

- عدم وجود القنوات الثقافية الأخرى المتمثلة فى المسرح والسينما ، ولا يبقى فى المجتمع الريفى سوى الإذاعة والتليفزيون وقد يلعب هذين المصدرين دوراً فعالاً فى تنمية الثقافة عند الريفيين ، لكنه وفى ظل سيطرة قيم ومفاهيم الطبقة الوسطى المصرية على هذه الأجهزة فإن الإذاعة والتليفزيون يلعبان دوراً معاكساً فى تشويه ثقافة أهل الريف ، ويبث فيهم عناصر ثقافية مشوهة ومتضاربة مما يفقدهم وعيهم النظرى فى الوقت الذى لا يكتسبون فيه وعياً حقيقياً بمشاكلهم وطرق حلها ، وبالتالى نجدهم فاقدين وعيهم الثقافى تماماً أو على الأقل قابعين فى اسر وعى زائف ٠ وأن افتقاد أهل الريف للوعى الثقافى يهئ لهم الوقوع فى براثين المفاهيم القدرية والتواكلية وتغلب فيهم الأمراض الاجتماعية والنفسية [١] ٠

خامساً : المشكلات السياسية :

تتبع المشكل السياسية للقرية المصرية من مصدرين أساسيين :-

المصدر الأول :هو التاريخ السياسى القديم للقرية المصرية ٠

أما المصدر الثانى : وهو الواقع السياسى المعاصر للقرية المصرية ٠

فالفلاح المصرى منذ أقدم العصور كان خاضعاً لسيطرة حكام وملاك تباينت مسمياتهم على مدار التاريخ فمن مالك الرقبة وهو الدولة أو حاكم

([١]) سام باسيليوس وآخرون : مبادئ علم الاجتماع الريفى والحضرى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، ١٩٨٣ ، ص ٣٩١ ٠

البلاد فرعون مصر الذى كان يملك كل شئ فى البلاد إلى حكم الأمراء فى عهد الإغريق والرومان والحكم العثمانى ، والمماليك ثم محمد على وأبنائه والاحتلال البريطانى وما تضمن ذلك من ظلم فادح للفلاح المصرى من حيث عدم تملكه لأراضى ، وتطبيق نظام الالتزام هذا النظام الذى ابتداع فى نهاية عصر المماليك ويقصد به أن يلتزم شخص بجباية الضرائب الزراعية المقررة على قرية أو أكثر ويعطى له عقد الالتزام وأمر إلى مشايخ دائرة التزامه وأهلها بالخضوع لأوامره وتأدية الأموال إليه ، وذلك بعد أن يدفع مبلغاً من المال مقدماً باسم " المعجل " وبعد ذلك يحق له أن يجتهد فى الحصول على المال الذى " عجلة " للخزينة ٠ وعلى فوائده التى كان يقرر سعرها هو بنفسه كما يريد ، وكان يحصل على أرض غير التى التزمها معفاه من كل ضريبة ن يزرعها له أهل الدائرة سخرة لمنفعته وهى المعروفة " بالأواسى " ويقول عالم الاجتماع المصرى عبد المنعم شوقى أن الضرائب كانت تمثل الصلة الأولى بل الوحيدة أحياناً بين الشعب المصرى وحكامه ، وكانت هى المصدر الرئيسى للدخل للدولة فى معظم العصور ، ولم يكن هناك عدالة فى توزيع الأعباء الضريبة بين المواطنين ، فبينما كان الفلاح منهكا بأنواع لا حصر لها من الضرائب كان الحكام وكبار رجال الدولة لا يكادون يشعرون بها ، وكان جزء كبير من دخلها ينفق على حياة البذخ التى كان يحياها كبار رجال الدولة بينما كان السواد الأعظم من الريفيين يعانون شظف العيش وقسوة الحياة ، يضاف إلى ذلك القسوة البالغة فى جمع الضرائب وتوقيت جمعها الذى كان كثيراً ما يختلف مع مواعيد جمع المحصول ٠

كما يضيف عالمناً الجليل عبد المنعم شوقى أن الفلاحين كانوا مستبعدين عن المشاركة فى الحكم ، حيث أن المشاركة الفلاحين فى الحكم أمر بعيد المنال وبعيد عن التصور فى أى عهد من عهود الحكم منذ قدماء المصريين إلى بداية ثورة ١٩٥٢ ونقصد بذلك حق مشاركة الفلاحيين فى حكم القرية ، والمقصود بالفلاحيين هنا العمال الزراعيين وصغار الملاك .

فلقد كان المستعمر الإغريقى والرومانى والغربى مسيطراً فى العادة على الحكومة المركزية وحكومات الأقاليم تاركاً حكومة القرية لكبار الملاك الذين يخضعون الفلاحون لإرادتهم عن طريق القسوة حينا والهيمنة على مقدراتهم الاقتصادية حينا آخر حتى فى الفترات الأخيرة من ثورة عرابى ، ووصل الكفاح المسلح إلى مرحلة لا بأس بها ، واضطر الإنجليز تبعاً لذلك إلى إشراك المصريين فى الحكم فى مستويات مختلفة ، إلا أن الفرصة كانت مواتية لكبار الملاك دون غيرهم وبقى الفلاح الحقيقى بعيداً عن الاشتراك فى الحكم أياً كان لونه أو مستواه ، لهذا كله كانت الأمور تسير أما فى صالح المستعمر المستغل أو فى صالح المالك الكبير المستغل ، أما الفلاح فقد كان دائماً هو موضع الاستغلال [١] .

أما المصدر الثانى وهو الواقع السياسى المعاصر للقرية المصرية ويمكن هنا أن نعتبر ثورة ١٩٥٢ هى البداية الحقيقية لمشاركة الفلاح فى الحكم حيث نصت حكومة الثورة على ضرورة مشاركة العمال والفلاحين

([١]) عبد المنعم شوقى : (١٩٧٧) ، مرجع سابق ، ص ٩٥ – ١٢٧ .

بنسبه لا تقل عن ٥٠ % فى المجالس التشريعية ، إلا أن تاريخ الظلم والحرمان السياسى الطويل على مدار العصور السابقة على الثورة ساهم فى ترك العديد من الآثار السلبية على الفلاح المصرى ، حيث اتسمت شخصيته بالسلبية والإتكالية وعدم التمرس على استخدام الأساليب الديمقراطية ، بل إن مشاركته السياسية كانت بهدف تحقيق أهداف شخصية لا أهداف عامة ، كما نلاحظ فى أوقاتنا الحالية وعمليات انتخاب عضو مجلس شعب أو عضو مجلس محلى ٠٠٠ الخ ٠ هذا بالإضافة إلى أن الفلاح بطبعه لا يثق فى الحكومة وممثليها فهو يقف موقف الريبة والشك والتوجس من ممثلى السلطة وهذا ما أدى بالطبع إلى اتساع فجوة الثقة بين الفلاح والحكومة التى تهدف أساساً إلى تحقيق مصالحه ، إلا أن الشعارات الهوجاء التى يطلقها بعض المسئولين لتحسين مصالح الفلاح ورفع مستوى معيشته والتى قد ينخدع لها بعض البسطاء من الفلاحين ثم يفاجئون بما يتسم به هؤلاء المسئولين من كتب وخداع وتضليل فإن ذلك كله يؤدى إلى إتساع فجوة الثقة بين الفلاحين والحكومة ٠

سادساً : المشكلات الاجتماعية :

وتتمثل هذه المشكلات فى عدة أمور منها ما يلى :-

أ- تفشى بعض العادات والتقاليد التى تحد من التطور وتعتبر معوقاً للتنمية ومن هذه العادات والتقاليد الفهم الخاطئ لحق القصاص فى الإسلام بما أدى إلى تفشى ظاهرة الأخذ بالثأر ٠ وكذلك تفشى ظواهر التعصب القبلى الدينى ، والتمسك ببعض المثال الشعبية التى تشجع على

السلبية والتواكل ٠ وعلى سبيل المثال فإن من طبيعة المجتمع القروى أن يحول دون خروج المرأة إلى العمل خوفاً من مشاركتها فى الحياة ونضج وعيها حيث يقولون فى أمثالهم (اللى تخرج من دارها يتقل مقدارها) كما يقولون (قعدتى بين أعتابى ولا قعدتى بين أحبابى) كما أن أمثلة تشجع على عدم الإقبال على العلاج الطبى والاستفادة من التقدم العلمى فى هذا المجال حيث يقولون (إسأل مجرب ولا وتسأل طبيب) ٠

ب- تفشى بعض القيم السلبية التى تعد أحد المقومات الأساسية أمام تنظيم الأسرة ومكانة المرأة فى المجتمع الريفى ومن بين هذه القيم والمعتقدات ما يلى :-

١- التباهى بكثرة إنجاب الذكور ٠

حيث نجد فى الريف تفشى المثل القائل " العزوة حلوة " حيث أن الأولاد يمثلون قوة إنتاجية من ناحية واجتماعية من ناحية أخرى لهم فهم قوة إنتاجية لأنهم يقومون بكثير من العمليات الزراعية منذ طفولتهم ، وهم أيضاً قوة اجتماعية لدورهم فى تحقيق هيبة العائلة ومكانتها وسطوتها فى المجتمع القروى ٠ وينسى أهل الريف أو يتناسون أن التفاخر فى القرن الحادى والعشرين ليس بالعدد وإنما بنجاح الأسرة فى تأدية دورها فى إعداد الأولاد وتربيتهم فى ضوء متطلبات عصر التكنولوجيا والعولمة ، كما أن تحقيق الهيبة والسطوة والمكانة لم يكن إطلاقاً بكم الأولاد ، بقدر ما يكمن فى كيفية إعداد هؤلاء الأولاد خاصة وأن الدولة أعطت للقانون والنظم السائدة فى المجتمع القوة فى حماية كافة الأسر على سواء ٠

٢- تفضيل الذكر على الأنثى ٠

ويكون هذا التفضيل مبنى على عدة أسس ما زال يؤمن بها كافة أفراد المجتمع الريفى ونحن فى أوائل القرن الحادى والعشرين ومن هذه الأسس أن الذكور يحافظون على أسم الأسرة فى نسلها ، كما أن ميراث الذكر ضعف ميراث الأنثى ، فهم بذلك يحافظون على ملكية الأسرة بعكس الأنثى التى تنقل ملكيتها إلى أسرة زوجها ٠ وهناك العديد من المظاهر التى يمكن أن نشاهدها فى بعض الأسر الريفية والتى تدعم هذا التفضيل أن النساء يتناولن طعامهن بعد الرجال ، وغالياً ما يكون أقل منه فى المقدار ، فالرجل يعمل وينتج أما المرأة فدورها واهن وضعيف ٠ وهناك من الأمثلة السائدة فى ريفنا المصرى تؤكد على مبدأ التفضيل منها " من كثرت بناته صارت الكلاب صهراته ، أم الغلام تستاهل الإكرام ن يجعل عزوته رجاله " ن إلا أننا يجب أن نذكر أهل الريف بأن تعليم الفتاة وخروجها إلى العمل جعلها تتفوق عليه فى مجال التعليم والعمل ، فالفتاة قبل زواجها وبعد دخولها فى مجال العمل تساهم فى ميزانية أسرتها ، فى حين أن الفتى قبل زواجه وبعد دخوله العمل لا يساهم فى ميزانية أسرته ، هذا بالإضافة إلى دور الفتاة بعد الزواج فى المساهمة فى تدبير ميزانية أسرتها الجديدة بالمشاركة مع زوجها ٠

٣- الاعتقاد فى أن الإبن الوحيد يجب أن يعوض ما لم تقدر عليه أمه ٠

حيث يعتقد أهل الريف أن الإبن أو الإبنة الوحيدة ترث قلة النسل ، ولذا فإن على الإبن الوحيد أو الإبنة الوحيدة أن يسعيا بقدر الإمكان إلى زيادة الإنجاب وذلك تعويضاً عن ما لم تقدر عليه أمهما ٠٠٠ ويجب أن

نذكر أهل الريف أن القدرة على العمل من الأمور التى لا تورث ، وأنه يجب أن نعطى للنشئ الجديد الحرية فى كيفية تكوين الأسرة وفى تنظيم الإنجاب طبقاً لظروفهم ٠

٤- الاعتقاد فى أن تنظيم النسل تدخل فى مشيئة الله وكفر به ٠

ويسود هذا الاعتقاد فى المجتمع الريفى المصرى حيث أن معظم أفراده لا يخططون لمستقبل حياتهم وإنما يتركون أمورهم للحظ والمصادفة ٠ ولذا فإن دور الوعى والإرشاد الدينى هام جداً فى بيان الحكام الدين الحنيف الحقة فى هذه الأمور ، فالدين الإسلامى حض على استخدام العقل والتفكير والعلم فى تخطيط حياة الإنسان وبذل الجهد والعرق فى سبيل كسب العيش ولا تعارض مطلقاً بين تعاليم الدين واتخاذ الإنسان ما يراه فى مصلحته ويحقق صحة الأم ويتناسب والإمكانيات الاقتصادية للأسرة ٠

٥- الاعتقاد فى أن المحافظة على الزوج لا تتم إلا بكثرة الإنجاب :

حيث يسود هذا الاعتقاد بين النساء الريفيات ويبررن ذلك بأن كثرة الإنجاب كفيلة بأن تستهلك الموارد الاقتصادية للزوج التى لا تجعله يفكر فى الزواج مرة أخرى ، بل ويسود بينهن المثل الشعبى " قصقصى ريش طيرك ليلوف بغيرك " وتتم هذه المقولة عن طريق استنفاذ موارد الزوج الاقتصادية بالصرف على الأولاد الكثيرين ٠ وهذا بالطبع اعتقاد خاطئ لأن الفيصل فى تفكير الزواج بزوجة أخرى ليس مجرد اقتصاديات الزوج بل قد تكون اقتصاديات الزوجة الجديدة من العوامل المؤثرة فى الزواج

علاوة على زوجته ، كما أن زيادة مسئولية الأعباء إلى الدرجة التى تثقل كأهل الزوج وتفوق طاقاته الاقتصادية قد تضطره إلى الهروب من الحياة الزوجية ، خاصة وأن مسئوليته الشرعية لا تتعدى ربع أجره أو مرتبه ، وكما يقول مثل آخر يعارض المثل الأول " إذا كنتى عايزة جوزك يطير خلفى له عيال كثير " ٠

وهنا نعرض بعض العوامل والمتغيرات التى إن فكرت فيها الزوجة العاقلة تجعلها لا تقبل على الإنجاب بكثرة حتى يمكن أن تحافظ على زوجها ومنها ما يلى :-

- لا تتمكن الزوجة بكثرة الإنجاب وتكراره من المحافظة على قوامها وجمالها وصحتها ، كما أن ذلك يتطلب رعاية عدد كبير من الأولاد وهذه الرعاية تؤثر بلا شك فى صحة الأم الجسمية والانفعالية والعاطفية وينعكس ذلك على علاقتها بزوجها ٠
- لا تجد الأم مع العدد الكبير من الأولاد وقتاً مناسباً لتراعى مصالح زوجها ، اللهم إلا إذا أهمت مصالح أولادها ٠
- المشكلات والمضايقات الاقتصادية والمالية الناشئة عن عدم كفاية الدخل وعدم توازنه مع متطلبات الكثرة العددية تقضى على إمكانية محافظة الزوجة على زوجها ٠
- كثرة الإنجاب تؤثر تأثيراً سلبياً على صحة الأم مما يستلزم بنداً خاصاً لعلاجها ورعايتها الطبية ٠

إذا فالنجاح والاستمرارية للأسرة وتماسكها واستقرارها لا يتحقق بالكثرة العددية بل قد تكون هذه الكثرة سبباً فى انهيارها وتصدعها ٠

٦- الاعتقاد فى أن الأولاد مصدر رزق للأسرة ٠

حيث إن أهل الريف بصفة عامة يعتقدون فى أن الأولاد مصدر رزق للأسرة فزيادة عدد الأولاد تسهل له عملية فلاحة الأرض إذا كان مالكها لها ، أما إذا كان عاملاً أجيراً فإن زيادة عدد الأولاد تمكنه من أن يزيد من دخل الأسرة من خلال تشغيلهم فى العمليات الزراعية ن إلا أن الواقع الذى قد يجهله أهل الريف يؤكد أن زيادة عدد الأولاد تعد تكلفة لا يقابلها عائد إلا بعد مدو طويلة خاصة مع إلزامية ومجانية التعليم الأولى ، ومن الواجب على الباحثين فى كافة المجلات المتعلقة أن يذكروا أهل الريف بهذه الحقيقة ٠

فالأسرة لكى تؤد واجبها على أكمل وجه خاصة فى عصر العولمة لأبد من الآتى :

- حسن اختيار طرفيها كل منهما الآخر ٠
- إدراك كل من طرفى الأسرة لواجباتها ومسئولياتها فى الكيان الأسرى ٠
- توفير مصدر الدخل اللازم لتوفير الضروريات اللازمة لحياة الأسرة والتخطيط السليم لأوجه إنفاق هذا الدخل ، مع العمل على أن يكون هناك رصيد مدخر لمواجه الطوارئ ٠

- تزويد طرفى الأسرة بالمعلومات الأساسية فى مختلف نواحى الحياة الأسرية وعلى الأخص الثقافة الجنسية ، الثقافة الصحية ، نفسية الطفل وأسس تنشئته ورعايته صحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ، وكذلك ما يرتبط بالوجبات الغذائية المتكاملة فى حدود إمكانيات الأسرة ، الإصلاحات المنزلية البسيطة وكذلك الإسعافات الأولية ٠
- إيمان طرفى الأسرة بأن الحياة الزوجية تتطلب التعاون والتراحم والتواد بين طرفيها وأن يعمل كل منهما بإيجابية على إسعاد الآخر وإزالة العقبات التى قد تعوق الاستقرار والتماسك الأسرى ٠

هذا ومن بين الأهداف التى تكمن وراء إقامة وتكوين الأسرة إنجاب الأولاد وتنشئتهم وإعدادهم للحياة حفاظاً على الجنس وأداء لرسالة متتابعة منذ بدء الخليقة ، إلا أن الإنجاب لا يجب أن يكون الهدف الرئيسى للأسرة ولا أن يغالى على تقدير أهميته بحيث يحجب الأهداف الأخرى وأهمها المودة والرحمة والتعاون والألفة والمعاشرة الحسنة والحياة المريحة للطرفين ٠ كما أن هذا الإنجاب لا يجب أن يتجه إلى العدد والكثرة ، وإنما إلى الملاءمة بين إمكانيات الأسرة والمجتمع اقتصادياً واجتماعياً وصحياً ٠٠٠ الخ ٠ ويوضح العدد الذى يمكن للأسرة إنجابه ، أن تنظيم الإنجاب له أكبر الأثر فى حياة الأسرة وتخطيط مستقبلها ٠

ومما هو جدير بالذكر هنا هو أن الميل إلى كثرة الإنجاب وزيادة عند الأولاد يتناسب عكسياً مع المستوى الثقافى لطرفى الأسرة ، فالأسرة

الأكثر ثقافة أكثر إحساس بالمسئولية ، وبالتالى أعمق إيماناً بأهمية تنظيم الإنجاب من الأسرة الأقل ثقافة والتى تدرك إدراكاً حقيقياً لمسئوليتها فى إعداد أطفالها للحياة إعداداً سليماً يتفق وتطور هذه الحياة [١] ٠

وهناك العديد من المشكلات الاجتماعية التى يعانى منها الريف المصرى بصفة عامة وفى صعيد مصر بصفة خاصة منها مشكلة التعدى على الأراضى الزراعية تلك المشكلة التى أدت إلى خلق العديد من المعوقات أمام التنمية الزراعية فى تحقيق معدلات سريعة للنمو والتى خصص لها الكاتب دراسة مستقلة ٠٠٠ ومنها أيضاً مشكلة الثأر والتى اعتقد البعض أنها فى سبيلها إلى الإندثار إلا أن كارثة بيت علام بجرجا التى وقعت فى تمام الساعة السابعة صباح يوم السب الموافق ١٠ أغسطس ٢٠٠٢ م والتى راح ضحيتها ٢٢ فرداً من عدة عائلات أمر يجعلنا نعيد النظر فى دراسة هذه المشكلة ، فعلى الرغم من أن الثأر تصرف انفعالى يقصد به إزهاق الروح وبدافع الانتقام الغريزى يقوم به فرد أو اكثر من أقرباء المجنى عليه ضد الجانى أو أكثر من الأقربين إليه ، إلا أن الثأر فى حقيقة الأمر نظام اجتماعى حيث إن المجتمع كله يعترف بحق الرد العدوانى المماثل طبقاً لشروط معينة ٠ ولقد خصص الكاتب لهذه المشكلة أيضاً دراسة مستقلة ٠

ثانياً : مشكلات المجتمع الحضرى

---

(١) حسن همام : علم الاجتماع وقضايا فى علم الاجتماع الريفى ، كفر الشيخ ، مطبعة الأصدقاء ، ١٩٩٧ ٠

مقدمة :

يختلف سكنى المدن عن ساكنى الريف فى عدد من الطرق والأساليب فساكنى المدن لهم مستويات مرتفعة من الدخل والتعليم ، وحراك اجتماعى أكبر ، وأسر صغيرة الحجم ، وتنوع أكبر ، وزواج أقل استقراراً ، ومعدلات أعلى فى إدمان الخمور وتعاطى المخدرات والانتحار والمرض العقلى ٠

وهناك فرق واضح بين الحضرية Urbanism والتحضر Urbanization فمصطلح الحضرية يشير إلى نظام للمعايير والقيم وإلى مستوى الأفراد فى المعتقدات والاتجاهات والسلوك [١] ٠ ويرى لويس ويرث Louis Wirth أن الحضرية يمكن تحديدها كطريقة للحياة ، ووضع الحجم ، والكثافة ، وعدم التجانس فى الاستقرار والثبات ، وهى أساس المعبار الذى يجب أن يستخدم فى تحديد الحضرية [٢]، أما التحضر يمكن تعريفه بأنه العملية التى يتم بها زيادة سكان المدن عن طريق تغير الحياة فى الريف من حياة ريفية إلى حياة حضرية ٠ أو عن طريق هجرة الريفيين إلى المدن الموجودة ، وشمل ذلك التغيرات التى تحدث لطبائع وعادات طرق معيشة سكان الريف حتى يتكيفوا للمعيشة فى المدن [٣] ٠ وفى الحقيقة فإن التحضر فى الحالة الأولى – أى عن طريق

([1]) Mannel Gastells, "Theory in Urban Sociology" .. in C.G. Pick Vance, "Urban Sociology. Critical essays", London : Tavistocks Publications Ltd, 1977, p. 65.

([2]) Josef Gugler and William, G. Elanagen, " Urbanization and Social change in West Africa, U.S.A Combridge University press, 1978, p. 19.

([٣]) عبد المنعم شوقى : مجتمع المدينة الاجتماع الحضرى ، ط٥ ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ١٩٦٧ م ، ص ٢٣ ٠

تغير الحياة فى الريف ليس بالمشكلة الكبرى إذا قيس بالتحضر عن طريق الهجرة لأن التحضر فى الحالة الأولى يحدث تدريجياً وبذلك يسهل على الريفيين التكيف فى الحياة الجديدة ٠ أما فى الحالة الثانية وهى هجرة الريفيين إلى المدن ، فإن هذه الحالة يصاحبها فى أغلب الحالات هزة نفسية وصدمة ثقافية Cultural Schock تترك المهاجر قلقاً حائراً مبلبل الفكر مما يؤثر فى عمله وإنتاجه بقدر كبير [١] وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن الحضرية مدلولاً إستاتيكياً Static حيث ينظر إليه كطريقة للحياة ٠ فى حين أن للتحضر مدلولاً ديناميكياً Dynamic حيث يعرف كعملية تحويل المناطق الريفية إلى مناطق حضرية أو العملية التى يتم بها زيادة حجم سكان الريف الذين يأتون للمعيشة فى المدن [٢] ٠ والحضرية كما يقول " مارشال كلينارد " هى أسلوب فى الحياة يصاحبه عادة مجموعة من الخصائص كالفردية والتغير الثقافى السريع والمادية المفرطة والإنهيار فى وسائل الضبط غير الرسمية ، وقد ترتبط هذه السمات بالتحضر الذى ينتج عن تركز السكان وتوطن الصناعة ٠ والحضرية لا ترتبط دائماً بالتحضر على الرغم من أن هناك مناطق ريفية تتوفر فيها كثير من سمات الحضرية ، وعلى العكس من ذلك قد نجد مناطق ريفية تحيطها مدن كبرى ولكنها لا تمثل فى الواقع سوى عدد ضئيل من هذه السمات ٠ كما أن المدينة فى حد ذاتها قد تتباين فى درجة توفر السمات الحضرية فيها ٠ ولقد أدت الحضرية إلى التحول فى العلاقات الاجتماعية فى مختلف أنحاء العالم ، وأصبحت المرأة الحضرية تتمتع بقر كبير من

---

(١) المرجع السابق ، ص ص ١٠١ – ١٠٢ ٠

(2) Steven Vago; (1989), Op. Cit., P. 137.

الاكتفاء الذاتى مطالبة بتحقيق المزيد من المساواة بالرجل ، كما أنها أصبحت غير قانعة بالأدوار التقليدية للأسرة ، كما أدت الظروف الحضرية إلى معاناة كبار السن للهامشية والاغتراب ، حيث يفقد كبار السن مكاناتهم وأدوارهم تلك التى كانت تحقق لهم الشعور بالهيبة ، وهذا ما أثبتته كثير من البحوث والدراسات السوسيولوجية ٠ ولقد حطمت الحضرية كثيراً من النسق العائلى التقليدى وخلقت جماعات جديدة ترتكز على أسس عديدة كالعمر والمهنة والتعليم ، كما أنها ساعدت على ظهور الثقافات الفرعية للمراهقين التى تختلف غالباً عن ثقافات الأسرة والمدرسة ٠ ومن خلال الآثار التى نجمت عن الحضرية يمكن أن نجد تفسيراً مقنعاً للجرائم التى يرتكبها الشباب ٠

ولقد كشفت الدراسات المعنية بتأثير الحراك المكانى على السلوك المنحرف عن إحدى المشكلات التى يعانى منها المجتمع الحضرى ، حيث أشارت إلى أن العامل الأمريكى يميل إلى تغيير محل إقامته ثمانى مرات خلال حياته ن وأن هناك اثنين من ثلاثة يهجرون تماماً المجتمع الذى نشأوا فيها ، ولا شك أن الحراك المكانى حتى فى حالة كونه داخل المجتمع يتضمن غالباً فقدان الأهل والقارب والجيران ، ومن ثم يواجه الأطفال والراشدون معايير وأدواراً جديدة ، وهنا يتحتم عليهم التوفيق بينها وبين التى ألقوها من قبل [١] ٠

تاريخ المدن History of cities :

([1]) Marshall, B. Clinard : "Sociology of Deviant Behaviour", N.Y. Holt, Rinhart Winston. 1961, pp 57 – 59.

تعد المدن الكبرى ظاهرة حديثة نسبياً ، حقيقة إن التاريخ القديم يحدثنا عن بعض المدن مثل أيضاً أثينا Athens وروما Rome والقدس Juerusalem واسطنبول Constantimpole ، ولكن بالمقارنة بالمراكز الحضرية المعاصرة فإن هذه المدن تبدو صغيرة ، فمثلاً فى عام ١٤٠٠ كانت لندن أكبر مدينة فى أوربا وكان عدد سكانها ٣٥ ألف نسمة [١] ٠ اليوم مدينة نيويورك بها أكثر من ٧ مليون مواطن ٠ وإذا ما أجملنا عدد سكان ضواحى مدينة نيويورك سيصبح عدد سكانها أكثر من ٢٠ مليون مواطن [٢] ٠ ولقد ازداد عدد المدن فى الولايات المتحدة الأمريكية تحت تأثير ظهور الثورة الصناعية ، فحتى القرن التاسع عشر كانت الولايات الأمريكية عبارة عن دولة ريفية يعيش فيها أغلب السكان ويعملون فى مزارع صغيرة ، وأن مدن قليلة كانت أساساً بها أسواق ٠

وفى القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ازدهرت الثورة الصناعية فى أوربا وأمريكا وكان ذلك فى الأساس ناتج عن التقدم التكنولوجى مثل تطور محركات البخار Steam engine ٠

وقبل الثورة الصناعية كانت توجد مجتمعات محلية قليلة فى أوربا وأمريكا التى كان سكانها يزيد على بعض الألف ، وإن إحدى نتائج الثورة الصناعية تكمن فى تطور المناطق الحضرية الواسعة التى تعتمد بصفة

([1]) Paul B. Horton, Gerald R. Leslie and Richard F. Larson : the sociology of social problems 10th , ed (Englewood F. Larson : the sociology of social problems, 10th , ed (Englewood cliffs N.Y : prentice, Hall,) 1991 p. 214.

([2]) William Karnblum and josrph julian : social problems, 1 th ed Englewood cliffs, N.Y. Prentice 1992 p. 428.

أساسية على الصناعات ٠ وتحت تأثير ضآلة فرص العمالة فى المناطق الريفية فإن كثيراً من العمال تحركوا إلى المدن ٠ ومع مثل هذه الحركات انهارت وتحطمت الروابط الأسرية والقرابية ، وهؤلاء الذين اصبحوا غير قادرين على التأقلم مع ما يواجهونه من افتقاد للهوية المحلية Loss of Community identity والانهيار الاجتماعى Social breakdown ٠

كما إن الابتكارات التكنولوجية (مثل اختراع المصعد واستخدام الحديد الصلب فى تشييد المبانى) جعلت من السهل على المدن أن تتسع بصورة رأسية عمودية ٠ كما أن الاختراعات الأخرى مثل خطوط السكك الحديدية والسيارات جعل من السهل على المدن أن تتوسع بصورة أفقية أيضاً ٠ ولقد ساعدت خطوط السكك الحديدية على ربط أقاليم الدولة مع بعضها البعض من خلال التزويد بوسائل النقل السريع للأشخاص والبضائع ، كما تم بناء عدد من المدن على طول خطوط السكك الحديدية وحدث بعض التطور للمدن الكبرى ٠

وفى الماضى ومنذ قرنين من الزمان حدثت حركة مثيرة للناس من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ففى عام ١٧٨٠م كان حوالى ٩٠% من سكان الولايا المتحدة الأمريكية يعيشون فى المناطق الريفية وغالباً فى مزارع صغيرة ، أما الآن وبالتحديد فى عام ١٩٩٢م فإن أكثر

من ٧٧% من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يقيمون فى المناطق الحضرية [١] .

ولقد أدى النمو السريع للمدن إلى خلق مجموعة متعددة من المشكلات الاجتماعية . بعض هذه المشكلات أمكن حلها ، فمثلاً فى بداية القرن العشرين عندما كان الخيل هو الأسلوب السائد للنقل كان يوجد قلق خطير حيث إن روث الماشية كان يشوه الحياة فى المدينة ويساعد على نشر الأمراض ، وأن اختراع السيارة ساعد على حل هذه المشكلة ولكنه خلق مشكلات جديدة منها تلوث الهواء والضوضاء وحوادث المرور التى أدت إلى قتل عدد كبير من الأبرياء وازدحام المواصلات والأعطال المرورية ... الخ .

وقبل بداية القرن العشرين كان معدل الوفيات فى المدن يفوق معدل الوفيات فى الريف ، ولقد تم حل هذه المشكلة فى بداية القرن العشرين بواسطة تطور نظم الاستهلاك المتكافئ ونظم إمداد المياه . كما أن الإختراعات والإبتكارات فى الصحة العامة والطب فى القرن العشرين أدت إلى تحسين ظروف المعيشة الحضرية ، ومع ذلك فإن كثير من المشكلات الحضرية قد ظل بدون حل ، وبعض هذه المشكلات قد ازداد خطورة وضراوة .

تعريف المناطق الريفية الحضرية :

([1]) Ibid . p : 419.

من الجدير بالذكر أن معيار التفرقة بين الريف والحضر فى مصر يتم على أساس إدارى ، فى حين أن معيار التفرقة بين الريف والحضر فى أمريكا بتم على أساس إحصائى ٠ كما تعد البيروقراطية أحد مظاهر الحضرية ٠ ويرى بوجى Bogye أن المناطق الحضرية هى تلك المناطق التى يستوطنها عدد كثف من السكان حيث المصانع والتجارة وأفدارة وعدد ضخم من الخدمات المتخصصة ٠ أما المناطق الريفية من وجهة نظر بوجى فهى تلك المناطق التى يقطنها عدد ضئيل من السكان وقد يكونوا متخصصين فى الزراعة والغابات أو العمل فى إستغلال الموارد [١] ٠

ويبدو أنه من الصعب علينا أن نحدد بشكل قاطع الخط الفاصل بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية ٠ فلقد كانت الزراعة فى الماضى مثل على الحياة الريفية ، أما اليوم فإن كثيراً من المناطق الريفية تتوفر فيها خصائص الحياة الحضرية ، فعلى سبيل المثال فى المناطق الريفية القريبة من المراكز الحضرية نجد كثيراً من الناس يعملون فى المدن يشيدون منازلهم فى الريف ، كما يوجد أيضاً محلات للبقالة ، وحصلت للخدمة وبعض الأعمال الأخرى التى من شانها تتعدل فى مثل هذه المناطق بشكل يجعلها تصبح تدريجياً منطقة ريفية وشبه حضرية فى آن واحد ٠ هذا بالإضافة إلى أم معدل كبير من المزارع يتم إجراؤها فى ضوء ما يسمى بالمقولات الزراعية Agribusiness ٠ وهذه المقاولات الزراعية تخل محل المزارع الصغيرة ن كما تحمل المقاولات الزراعية بعض خصائص الحضرية [٢] ٠

([1]) D. Bouge : principle of Demography, N.Y wiley, 1969. P. 465.
([2]) Charles Zastrow : Socialh Problems, 4th , ed p ; 474.

نظريات تأثير الحضرية

هناك بعض التساؤلات التى مؤداها هل لساكنى الحضر أسلوب فريد النظر إلى الحياة ؟ وما هى تأثيرات الحضرية على سكنى المدينة ؟ ولعل الإشارة إلى نظريات كل من جورج زيمل George Simmel ولويس ويرث Louis Wirth وهوبرت جانز Herbert Gans وكلود فيشر Claude Fischer تجعلنا نجد إجابة لمثل هذه التساؤلات ٠

جورج زيمل George Simmel :

عرض جورج زيمل عالم الاجتماع الألمانى قضيته وأفكاره الكلاسيكية فى كتابه المدينة العاصمية والحياة العقلية The

Metropolis and Mental life ٠ والنشور فى عام ١٩٠٣م [١] ٠ حيث لاحظ جورج زيمل أن الحضريين يتسمون بشكل دائم بالنشاط العصبى الحاد تحت تأثير المواصلات ، والضوضاء ، والخطوات السريعة للحياة ، والإعلانات العديدة ، والزحام ، وكثير من المنبهات والمثيرات ٠ وتؤدى مثل هذه المثيرات إلى زيادة تحميل على طاقة ساكنى المدن الذين لا يهتمون بأى شئ يجرى حولهم ، كما أنهم لا يهتمون جيداً بالأجنبى أو الغريب والمعارف الشخصية ٠ وعلى أية حال فإن المدن تقدم فرصاً أكبر للأسماء المستعارة والحرية لكى تكون غير تقليدية ، كما أنها تزيد من فرص أن يكون السكان منعزلين ومنفردين ٠

لويس ويرث Louis Wirth :

تتشابه النتائج التى توصل إليها لويس ويرث مع واصل إليه جورج زيمل حول التأثير السيكولوجى للحياة الحضرية ٠ ولقد نشر ويرث نظريته فى عام ١٩٣٨ حينما كان يعمل فى قسم الاجتماع بجامعة شيكاغو [٢] ولقد طابق ويرث الخصائص الفريدة للمدن من حيث الكثافة والحجم والنوع لسكانها ٠ وارتكزت نظريته على أساس أن المدن تزيد من مدى تأثر الشخصية والإضرابات الاجتماعية ٠

ولقد اتفق ويرث مع زيمل فى أن توافر القدر الهائل من الإثارة والنشاط تقود سكان المدن إلى يصحوا غير مهتمين بالغرباء والمعارف

([1]) George simmel : the Metropolis and Mental life, in Neighborhood city and Metropolis, ed R. Gutman and D. popenoe (N.Y: Random House, 1970).
([2]) Louis Wirth : Urbanism as a way of life, American Journal of sociology, (july 1938 ; 1-240).

الشخصية ٠ حيث يصبح المقيمون بالمدن غرباء a loof ومجهولين in personal, وأكثر جفافاً وفظاظة Brusque فى تفاعلاتهم مع الآخرين ٠ مثل هذه الأمور المنفرة تهلهل الروابط التى توحد الناس الريفيين ، وفى بعض الحالات تكون هذه الروابط ممزقة تماماً الأمر الذى يؤدى إلى وجود ضحايا فى المدن من خلال الإحساس بالاغتراب alienation والعزلة أو الوحدة loneliness الأمر يجعلهم يحلقون فى خيالاتهم وأوهامهم ويفقد هؤلاء الدعم الانفعالى والضابط المجتمعى ، ونتيجة لذلك فإنهم يكونون أكثر ملائمة لأن يكونوا إما فى حالة إبداع ، أو أن يقبعوا فى السلوك المضاد اجتماعياً الذى يتضمن الجريمة والإنتحار والجناح والإضطرابات الإنفعالية والسلوكية ٠

وتسهم حياة المدنية فى إنهيار التحفظات والضوابط الاجتماعية والعلاقات بين الأشخاص بأسلوب مختلف ٠ ويؤكد المدينة على المنافسة الاقتصادية وتقسيم العمل ٠ وفى حالة التخصص العالى فإن الناس طبيعى أن يعرف الواحد منهم الآخر بشكل سطحى ، وهذا يعنى أنهم يتفاعلون فى أدوارهم كالحلاق ، وموظف البنك ، وعامل البقالة ، وسائق الأتوبيس فنادراً ما يسعون إلى أن يعرف الواحد منهم الآخر بأسلوب عاطفى ٠

ونتيجة لذلك فإن سكان المدن يكونوا أقل احتمالاً لأن تكون لديهم روابط انفعالية حميمة فهم أكثر شعوراً بالعزلة والوحدة فى وسط الجماهير

الضخمة ويتعلم ساكنوا المدينة كيفية تقبل عدم الاستقرار وعدم الأمان كأسلوب للحياة ٠

وهناك عوامل أخرى تؤدى إلى إنهيار الروابط الاجتماعية ، فساكنوا المدينة مجبرون يومياً لأن يقوموا بأدوار عديدة مختلفة فى تفاعلاتهم مع الجيران وفريق العمل ، والعملاء ، والتجار ، والأصدقاء ، والعائلة ٠ حيث إن كثرة الناس والأماكن تؤدى إلى ضعف الروابط الاجتماعية ٠ وبالإضافة إلى ذلك فإن الناس حيث إنهم يقضون أوقاتاً كثيرة فى التفاعل مع الآخرين فى العمل وفى أنشطة وقت الفراغ المميزة ، فإن السرة تصبح أقل أهمية ٠ فكثر من سكان الحضر يشعرون باليعد ولديهم إحساس بالأنومى ٠ وطبقاً لوجهة نظر ويرث فإن كل هذه العوامل تؤدى إلى الضعف أو إنحدار القيم الأخلاقية ، وتشجع على التفتت أو التشويش الاجتماعى Social disruption وتعزز الاضطرابات الشخصية ٠

هربرت جنز Herbert Gans :

ليس كل علماء الاجتماع الحضريين متشائمون حول الحياة الحضرية مثل ويرث ، حيث يؤكد جنز أن وجهة نظر ويرث توضح التحيز اللاحضرى وتعكس مدى كره الريف الأمريكى للمدن ٠ ويؤكد جنز أن ويرث يتجاهل كثير من سكان المدن الذين لديهم إحساس قوى بالمجتمع المحلى ٠ ويكشف جنز عن خمسة نماذج من المقيمين فى المدن ٠ ويؤكد جنز على أن النموذجين الأخيرين من هذه النماذج الخمسة يعانى من العزلة الاجتماعية Social Isolation وتوضح الحياة الحضرية كما

وصفها ويرث فى حين أن الثلاثة نماذج الأولى تعيش فى المدينة بسبب المنافع التى تقدمها المدينة من ناحية وبسبب الدعم الذى يحصلون عليه من الثقافة الفرعية من ناحية أخرى ٠

ويؤكد جنز على أن الطبقة الاجتماعية والعمر لهما تأثر أكب على أساليب الحياة الحضرية من المعيشة فى المدينة نفسها ٠

والنماذج الخمسة التى عرضها جنز هى كما يلى [١] :

١- المشاهير والعباقرة Cosmopolites :

ويشمل هذا النموذج الكتاب Writers والفنانين artists والمفكرين intellectual والمطربين entertainer والمهنيين Professional ويفضل هؤلاء الإقامة بالمدن بسبب أنشطتهم الثقافية ٠

٢- العزاب Childless People :

وهؤلاء يختارون الحياة فى المدينة لقربها من فرص العمل وبسبب الحياة الاجتماعية ٠

٣- القرويون العرقيون Ethnic villagers :

وهؤلاء يرغبون المعيشة فى مجتمعات محلية تتضمن نفس العرق ، والتى تساعدهم على المحافظة على قوالبهم الثقافية والقرابية ٠

([1]) Herbert J. cans : urbanism and suburbanism as a way of life A Reevaluation of definitions in Guman and popenpme, Neighbrhook, city and Metroplis. N. Y. Random House 1970.

٤-المحرمون Deprived people :

ومن أمثله هؤلاء الذين يعيشون فى المدن المعجزة disabilities ، والفقراء Poor ، والأقليات minorities ٠

٥- المخادعون trapped people :

وهؤلاء هم الذين يقبعون فى أدنى مستوى اجتماعى واقتصادى ، أو الذين يتقاعدون وغير قادرين على ترك جيرانهم الانحلاليين ، كما أنهم يعيشون على دخوله ثابتة ٠

٦- كليودفيشر Claude Fisher :

لقد قام فيشر بتطوير نظرية عن الحضرية تلك التى أصبحت تعرف بالثقافة الفرعية Subculture [١] ٠ ولقد اتفق فيشر مع ويرث فى أن المدن تؤدى إلى خلق تأثيرات إجتماعية وسيكولوجية ضخمة ٠ ويؤكد فيشر أن هذه التأثيرات ليست نتيجة لوجود جماعات إجتماعية دنيا ، وإنما هى نتيجة لخلق جماعات جديدة فى المدن الناشئة ٠

وطبقاً لوجهة نظر فيشر المدن الجديدة تعد بمثابة مولد للثقافات الفرعية المتباينة (كالأمريكيين الصينين – طلاب الكليات ، مروجوا ثقافات المخدرات ، جماعات الجنسية المثلية ، الفنانين ، العصابات الجانحة) ٠

([1]) Claude Fisher : the urban experince, N.Y : Harcourt Brace Jovanouich, 1970.

ويعتقد فيشر أن الناس فى المدن لديهم حياة ذات معنى التى تعد بصورة جزئية ناتجة عن العضوية والمشاركة فى الثقافات الفرعية ، والمدن تكون أكثر احتمالاً لأن تجذب قدر هائل من الثقافات الفرعية ٠

كما أن عملية الثقافة الفرعية تعد حقيقية ، ليس فقط بالنسبة لجماعات الأقلية العنصرية والعرقية ، ولكن أيضاً بسبب التباين الهائل للثقافات الفرعية الأخرى (الأكاديميين ، الإداريين ، متلقى الرعاية ، المجرمين ، الأطباء ، مبرمجى الكمبيوتر ، أطباء الأسنان ، الصيادلة ٠٠٠ الخ) ٠ كما أن بعض الثقافات الفرعية تطور قيم وتقوم بأعمال تحقق منافع المجتمع المحلى كأعمال الإحسان التى يقوم بها البعض ، إلا أن هناك بعض الثقافات الفرعية مثل العصابات الجانحة تطور قيم وتقوم بأعمال من شأنها تهدم وتدمر المجتمع المحلى ٠